هدى شعراوي

حكاية "رائدة" حركة تحرير النساء في مصر

أشرف مصطفى توفيق

هدى شعراوي...

حكاية "رائدة" حركة تحرير النساء في مصر

أشرف مصطفى توفيق

(أن تقرر مصرية النضال في عهد الاستعمار،
فهي تعرف حتما أنها ستصارع على جبهتين: جبهة
أولى ضد المستعمر نفسه، وثانية ضد المجتمع
المحافظ الذي يرفض أي ظهور للنساء في المجال العام
وتلك كانت سيرة امرأة تدعى هدى شعراوي، صارت
تعرف برائدة حركة تحرير النساء في مصر)

أسمها الحقيقي هدي محمد سلطان وعند أخرين(نور الهدي محمد سلطان) ولها اسم حركي تاريخي،رائدة الحركة النسائية فى مصر. أما النساء فيسمونها هدي هانم شعراوي.ولها اسم لا تحبه: أم محمد!! نادتها به (المطربة فاطمة سري،)

ولدت بالمنيا فى 23 يونيه 1879.وأبوها هو محمد سلطان قائمقام الحديو توفيق وخصم الزعيم عرابي؟!كان أبوها، محمد سلطان باشا من علية القوم؛ يترأس المجلس النيابي الأول في عهد الخديوي توفيق، سادس حكام مصرمن الأسرة العلوية.ولأنه كذلك،كانت هدى محظوظة فقريناتها آنذاك لم يكن يملكن أن يتابعن دراستهن.أما هو فقد استقدم من يعلمها في البيت؛اللغات،فن الخط،العزف على البيانو فلقد وفرت لها أسرتها نشأة كريمة وغنية وثرية فتعلمت الفرنسية والعربيةوقيل التركية ايضا،والموسيقى.ورغم ذلك كانت نسبة هدى لوالدها محمد سلطان سببًا

لنقمة كبيرة فى حياتها وكان استدعاء اسم زوجها الشعراوى بدلا منه طوق نجاة!! فمن المعروف فى التاريخ المصرى الحديث أن محمد سلطان كان من بين من خانوا عرابى وتخلوا عنه فى مواجهته مع الإنجليز، فعل ذلك بعد أن تلقى أموالًا طائلة من الخديو توفيق، ليقوم بدفع رشاوى لعدد من العربان والقيادات العسكرية ليخونوا عرابى، ويتركوه وحده فى الميدان بلا غطاء. ولم تتوقف خيانة سلطان باشا عند هذا الحد،بل رافق جنود الاحتلال أثناء زحفهم على العاصمة،وكان تعيينه رئيسًا لمجلس النواب مكافأة له على ما قام به.ولم تتوقف مكافآت الخيانة عند هذا الحد، فقد عينه توفيق أيضًا مندوبًا ساميًا ملكيًا إلى جانب الجنرال «ولسلى» قائد الجيش الإنجليزى الذى احتل القاهرة، ومنحته بريطانيا بعد الاحتلال عدة نياشين تقديرًا لخدماته وأهداه توفيق جارية بيضاء جميلة هى السيدة إقبال هانم التى أنجبت له هدى. فأم هدى شعراوى جارية بيضاء جميلة (ألبانية) وهبها الخديوي إسماعيل لأبيها،فتزوجها تقديرالهبة الخديوى فأنجبت له (هدى) وأخيها (عمر) الذى أصبح (عمر سلطان باشا) .

لم يربط المصريون كعادتهم فى السهو والنسيان بين هدى وأبيها، نسوا ما فعله، ولم يطاردها أحد بماضيه، وقد ساعد على ذلك أنه توفى فى العام ١٨٨٤ بعد مولدها بما يقرب من الخمس سنوات،فلم يكن له دور فى

حياتها، ولا ما أنجزته بعد ذلك. وحاولت هدى أن تبرئ أباها محمد سلطان من عار الخيانة الذى لحق به. فى مذكراتها تقول: توفى والدى المرحوم محمد سلطان باشا يوم ١٤ أغسطس ١٨٨٤ فى مدينة جراتس بالنمسا، كان قد سافر إلى هناك للاستشفاء،وكان يعانى من صدمتين عنيفتين أثرتا فى حالته الصحية إلى حد بعيد، لدرجة أن الأطباء لم يجدوا دواء لدائه إلا أن يسافر بحثًا عن العلاج. الصدمة الأول كانت وفاة ابنه إسماعيل، الذى كان يعقد عليه كل آماله فى المستقبل، فقد كان ذكيًا أكبر من عمره فى كل شيء، فى الوقت الذى كان عمر ابنه الثانى ضعيف البنية،والأمل فى حياته ضئيل جدًا. أما الصدمة الثانية، والتى دافعت بها هدى عن تاريخ والدها، فتقول عنها: كانت تلك المأساة التى أودت باستقلال البلاد إثر الحوادث العرابية، فقد ظهر له سوء نية الإنجليز بعد دخولهم مصر،حيث بدا واضحًا أنهم لن يفكروا فى الجلاء عنها.وكأنى بهدى كانت تريد أن تقول إن أباها ما ساعد الإنجليز وخان عرابى إلا للسعى نحواستقلال مصر،لكنه اكتشف أن الإنجليز جاءوا محتلين انتكست صحته،واعتلت نفسيته،فراحت حياته،فى محاولة للتبرئة أوللتأكيد أن أباها دفع ثمن سوء فهمه وربما تقديره.وتوفى أبيها وهى فى الثامنة من عمرها،ونشأت وسط أمها وأخيها كوصية الأب وكان (علي شعراوي) فى ذلك الوقت متزوج وابنه الأكبر(حسن)– أكبر من هدى بسبع سنوات– الذى أصبح كالعادة بين من يملكون الأرض والثروة(حسن شعراوي باشا). ويبدو أن علي شعراوى الذى كان يكبر هدي بثلاثين عاماً قد زار كيوبيد قلبه فأحب هدي وكتم حبه

وعف..وبخاصة أنها كانت تناديه بير شعراوي وهى تعنى بالفرنسية (بابا شعراوي) إلا أن الأمور كانت تسير لصالحه فهو رجل طيب، يحبه الجميع, نظيف اليد، عف اللسان، مهيب الطلة، مستقيم السلوك من بدء حياته وحتى نهايتها.واستطاعت أم (هدي) أن تلمح فى عيناه ما لا يخفى فهو كريم معهم بما يزيد عما كان عليه الأمر فى حياة زوجها محمد سلطان،وهو ضعيف أمام تلك الفتاة الدلوعة الناضجة، كبيرة الجسد بحكم الثراء وجودة الغذاء ورفاهة الكساء. إنها كما يقول الفلاحين (زرع بدري) أنوثة قبل الأوان، وكانت هناك مجموعة من المصالح أرضه وأرضها،وضياغه وضياعها وكما يقولون :المصالح تتصالح!! والتقت الرغبات.بأن يتزوج (علي شعراوي) بـ (هدي سلطان) على عكس رغبة وإرادة هدي.

فقد كانت رغبة من أمه (شقيقه محمد سلطان) ورغبة من أم هدي نفسها فى أن يكون طفلاها: عمر وهدي فى كنف ورعاية (علي شعراوي) ليس بالوصاية فقد ولكن برابطة أقوى (الزواج)

عاشت هدى تحت وصاية ابن عمتها على شعراوى،وفى سن الثانية عشرة تزوجت منه، رغم أنه كان يكبرها بأربعين عامًا على الأقل، وكان متزوجًا ولديه ثلاث بنات، وأصبح اسمها هدى شعراوى.

كانت أمها «إقبال هانم» سابقة عصرها، فعندما عرض على الزواج من هدى، اشترطت عليه أن يكون عقد الزواج أحاديًا، أى لا يكون متزوجًا من أخرى،وإلا يعتبر العقد لاغيًا من تلقاء نفسه، فطلق زوجته الأولى وقد تهلل (علي شعراوي) حينما وجد أبوه حسن باشا شعراوي (الفلاح

الذكي) الثرى (عمدة المطاهرة) مركز المنيا الذى لا يجلس أمامه إلا متهيباً لا يمانع فى هذا الزواج!! بل إن حسن باشا إنما جعلها وكأنها وصيته الأخيرة لأنه كان مريض فقد كان الرجل يكرر فى أيامه الأخيرة شيئين: ثقة محمد سلطان فيه وفى أهله حتى أنه جعل ابنه وصياً على أسرته وثروته دون أحد غيره رغم إن ثروة محمد سلطان وقتها كانت (اثنى عشر ألف فدان) وطبعاً غير الفكة!!أما الشئ الآخر فهو جميل (محمد سلطان) أبو هدي عليه فهو لا ينسى نفوذ شقيق زوجته ووقوفه معه حتى أصبح نائب المنيا فى برلمان 1866م. ثم كيف كانت له اليد الطوله فى وصول ابنه (علي شعراوي) نفسه ليصبح من بعده نائب المنيا فى برلمان 1881م؟! وتوافقت الأوضاع الأسرية. وتزوجت هدى من على تحت ضغط النساء والزن على الودان. ولم يكن تحول هدي سهلاً كان عليها أن تحول احترامها لحب، وبنوتها إلى زواج،وحياءها إلى علاقة زوجية ويقال أنه بعد سنتين من الزواج ضيق خلالها على شعراوي على هدي الخناق فى الخروج والزيارات ونقلها معه إلى الإقامة فى الريف، لكن بعد عامين اكتشفت هدى أن زوجها عاد إلى زوجته الأولى،فانفصلت عنه وهى لا تزال فى الرابعة عشرة، وقد ظل الانفصال سبع سنوات كاملة.ويقال فى ذلك أن عقد الزواج بينهما اشترطت فيه هدى شعراوى ألا يكون لها ضرة،سواء زوجة سابقة أو لاحقة فأن وجد فسخت عقدها واعتبر كان لم يكن) ولم يستطع على شعراوى أن يفى بالعقد،فبعد طلاقه لزوجته الأولى،عاد لها فى السر وبقى معهاوانجب !؟ وفى سنة 2002 أغرانى السيناريست محمد على فهمي بتحويل كتاب (حريم فى حياة الزعيم سعد زغلول– الثورة التي

أيدها الحرملك) لمسلسل تلفزيوني، ووجدتها فرصة لتعلم السيناريو، وفرغنا من الكتاب كل مايخص علاقة سعد زغلول بهدى شعراوى واستعنا بمراجع أخرى أهمها مذكرات هدى شعراوى نفسها..وتقدمنا بخمس حلقات لقطاع الإنتاج بالتليفزيون.ولكنهم طلبوا نصف حلقات المسلسل فقدمنا بعد سهر وعمل 17 حلقة من (خمس نسخ) ولكن كان قرار لجنة النصوص الرفض من الأستاذ عبد المحسن حسين والسيدة بهية عمر، وقالا في تسبيب الرفض: (اعتمادنا نصوص غير محققة عن حياتها الخاصة وأمها مما يحط من كرامة المرأة وتناول حياتها الخاصة مع محمد الشعراوي زوجها وكيف تركها معلق سبع سنوات، لعقد زواج نص فيه على عدم رجوعه لزوجته الأولى بعد طلاقها وزواجه من هدى هانم..وقد أخل الشعراوي بنصوص العقد ورجع لزوجته الأولى بل أنجب منها ولدًا)، وتظلمنا وذهبنا بالتاريخ والنصوص،وقالوا سيتم البحث..وبعد أسبوع قالوا: (آسفين معلوماتكم سليمة بس لاتصلح للعرض)..واتفقنا على التغيير والتبديل رغم أن المسلسل تاريخي..وفجأة قال قسم الفيديو والتنفيذ بعد الاتصال بالمدينة الإعلامية: (هناك مسلسل عن هدى شعراوي لكاتب كبير حجزه خلاص ولم يكن الكاتب الكبير كتب شيء بعد سوى مختصر بالموضوع فى خمس صفحات..والباقي معروف عن مسلسل هدى شعراوي التليفزيوني؟! المهم وقتها وبدراسة موسعة تبين لى أن عقد الزواج هذا قد شغل الفقة فى مصر وقتها فمن رأى الشيخ محمد عبدة أن العقد يستمر صحيحا ويسقط الشرط الباطل فلا يجوز تقييدماسمحت به الشريعة واقره الدين،فللزوج الزواج مثنى وثلاث ورباع

ولا يعرف هل كان الانفصال بالطلاق أم كانت فترة هدنة بعد أن فشلت التغيرات المتلاحقة بالصدمة والمفاجأة لجعل هدي عروس صالحة للزواج والغريب أن هذا الانفصال استمر سبع سنوات؟!

قضت هدي منها فى الاسكندرية معظم الوقت؟ أما الباقى فسافرت خلاله إلى تركيا.وفرنسا.للاستشفاء من الاكتئاب،وهناك خالج نفسها أن تنال المرأة المصرية شيئا من حقوق الفرنسيات لاحقا،حين عادت إلى مصر،سمحت لها إجادة اللغة الفرنسية بتكوين صداقات مع نساء يحملن همّ تحرير المرأة،أبرزهن واحدة تُدعى (أوجيني لوبران)

أما (علي شعراوي) فشغلته السياسة والوطن وقضايا كثيرة.ولظروف كثيرة عاد الود.فعادت هدي لزوجها.كان من هذه الظروف ترك علي شعراوي أمر الأرض لأخو هدي "عمر" فبارت وقل محصولها وكان منها وفاة زوجة على شعراوي الأولى نفسها أصل الأزمة أما الأكثر تأثيراً فهو هدي نفسها التى تغيرت فصارت أنضج وأضيف لكمال الجسم أناقة غريبة فى ما ترتديه.وملكت شخصيتها الإقناع بدلاً من الغضب والبكاء الذى عانى منه علي شعراوي فى البداية. ووافق علي شعراوي على كل شروطها للرجوع :السماح بالدخول والخروج والإقامة فى القاهرة ووضع ثروته كلها تحت تصرفها وكانت وقتها (تسعة ألاف فدان) وأن يكون لها نشاط اجتماعى كما له نشاط سياسي؟!كانت هدى متمردة،تقاوم حصار زوجها لها فى أدق وأصغر الأشياء.ففى مذكراتها تقول: كنت لا أستطيع تدخين سيجارة لتهدئة أعصابى،حتى لا يتسلل دخانها إلى حيث يجلس الرجال،

فيعرفوا أنه دخان سيجارة السيدة حرمه، إلى هذا الحد التقاليد تحكم بالسجن على المرأة،وكنت لاأحتمل مثل هذا العذاب ولا أطيقه.وتقول: كنت إذا أردت زيارة صديقة أو قريبة منعنى من الخروج، وإذا زارتنى صديقة أو قريبة استجوبنى استجوابات كثيرة وملحة عما جرى بيننا من أحاديث، وكنت إذا لجأت إلى التسلية بالعزف على البيانو أرسل يطلب إلى أن أكف عن العزف لوجود ضيوف معه،وهكذا شعرت بأنه يقيد حريتى تقييدًا ظالمًا.فلم يكن زواج هدي شعراوي عسلاً كله إنما كان فيه الخلاف والبعد،والجفوةوترك البيت فإذا كان علي شعراوي قد أرخى اللجام لهدي.فإنه لم يتركه من يده.فقد كان الرجل بطبعه فلاح ومسلم متزمت وتروى عنه أقاصيص تجعله يلحق بركب العارفين بالله وكان أيضاً ثائراً استطاع أن يكون فى فترة قليلة أحد دعامات حزب الوفد. ويكفيه ما قاله عنه (عبد العزيز فهمي) : علي شعراوي من خيرة الوطنيين المخلصين،بل إنه من أخلص رجال مصر وأكثرهم حباً للوطن، وكان جريئاً فى الحق يقول ما يعتقد ويحافظ على كرامته لأقصى حد نقطة بداية هدى كانت فى النشاط الخيرى والاجتماعى تبلورت أمامها عندما كانت تصاحب زوجها على شعراوى فى رحلة استشفاء بأوروبا بعد أن عادت إليه، هناك احتكت بنساء أوروبيات، وعرفت بالامتيازات التى حصلت عليها المرأة هناك، وتعرفت على شخصيات مؤثرة فى المجتمع الأوروبى تنادى بتحرير المرأة.عندما عادت إلى مصر قررت أن تحذو حذو الأوروبيات. بدأت بتأسيس مجلة تصدرباللغة الفرنسيةأطلقت عليها اسم «الإجيبسيان»وفى العام ١٩١٥ وبأحد منتديات القاهرة ألقت أولى

محاضراتها،والتى تناولت فيها بجرأة وشجاعة مقارنة بين أوضاع المرأة فى مصر وأوروبا، ***و فى العام 1920 وجدت هدى شعراوى نفسها رئيسة للجنة الوفد المركزية للسيدات.***

وقد تعجب فى أن هدي شعراوي كانت لا تواجه زوجها مباشرة بما تريد من عمل أو نشاط وإنما تستعمل عبارة: صفية زغلول بتقترح: سعد باشا زغلول بيقول!! وكانت موافقته التزام حزبياً أكثر منها رضاء زوجي!..

بل إننا لا نعجب إذا عرفنا أن علي شعراوي كان معارضاً لخروج نساء الوفد فى ثورة 1919!! وعارض بشدة فى أن تكون لزوجته سكرتيرة ذات ثقافة فرنسية وجذورمسيحية (سيزا نبراوي) وقال لها:يا ستى شوفي واحدة ريفية!! وثار ثورة غريبة عليهما حينما أعلنت فى أحد اجتماعاتها إرسال (أحمد الصاوي محمد) ليتعلم فى السربون على نفقتها الخاصة لأنها شعرت أنه ظلم من النظم الموجودة بالجامعة. لم يكن معترضاً على الفعل وإنما على الشكل فهو على استعداد أن يرسل الصاوي ومعه خمسون للسربون على نفقته ولكن لماذا تفعلهما امرأة؟! وزوجته؟! إنها تقبض منه لتنفق على نشاطها أضعاف ثمن بعثة (الصاوى) فلماذا يظهر مالهاالخاص الآن!!وبعبارة زوج فلاح قال علي شعراوي:إشمعنا الصاوي

ماعندك البنات،بنات مصر كلها!! فتعاونت فى إرسال درية شفيق للسربون لتدرس الدكتوراة..هدي شعراوي استمرت فى عنادها حتى أنها عند زواج الصاوي،جعلت الزفاف فى بيتها واختارت له أجمل عروسة فى مصر (درية شفيق)وتم ذلك فى تكتم، لم يفضحه إلا جريدة الأهرام.

ولم تكن هدي تملك خجل علي شعراوي فقامت بدور مؤثر من خلال (لجنة الوفد للسيدات) بجمع هذه التوقعات.وبالطبع وجدنا على العريضة أسماء إناث ونساء لم تتح لهن الظروف كتابة أسماءهن من قبل.كن ينظرن لأسمائهن مكتوبة وكأنهن يرونها لأول مرة. لها أثر وفعل ووضع سياسي ومصيري فى حياة أمتهم.ويذكر أن بعض الريفيات قلن لهدي شعراوي: إننا لا نعرف الكتابة لكننا نريد سعد وزملاؤه؟! وبينما كانت العريضة بها بعض بصمات ليدالرجال..كات هدي شعراوي تجمع النساء وتدربهن على كتابة الاسم. فهى لا تحب أن يرى الإنجليز المرأة المصرية مجرد بصمة!!

وبالرغم من نضج نشاطها فى عامي1907– 1908 وسفرها وحضورها مؤتمرات خاصة بنشاط المرأة ساعدها فى ذلك حيويتها وأموالها. فإنها حينما دخلت الوفد بجانب زوجها ومارست من خلاله نشاطها، تدخلت السياسة وأسمتها هدي شعراوي بدلاًمن هدي محمد سلطان.وهوما حدث من قبل مع زوجة الزعيم سعد زغلول سموها صفية زغلول بدلاً من صفية مصطفي فهمي.فقد كان لكل من الأبوين.محمد سلطان ومصطفي فهمي.(علاقة وتاريخ متيين عظيم مع الإنجليز)!! فلقد أراد الوفد أن يكسبها بلا أى انتقادات– فأبوها محمد سلطان كان موضع هجوم شديد من الشيخ محمد عبده أستاذ سعد زغلول. وكان يرى قتله لخروجه على الخط الوطني وانضمامه إلى الخديوى توفيق ضد عرابي وكان سعد زغلول نفسه مع ثورة عرابي يؤيدها على عكس ما كان الوضع فى الحزب الوطني الذى كان يعتمد على تركيا (الباب العالي).فقد حمل محمد سلطان

قرارالسلطان العثماني بعصيان عرابي ورفاقه إلى (العربان) بالإضافة إلى بعض المال ومنشور الخديوى نفسه وبعض مساعدات الإنجليز.الأمر الذى كان له أثره فى خيانة عرابي فى المعارك التى دخلها بل إنه قام مقام الخديوي نفسه عندما احتجزت أحداث الثورة العرابية الخديوي توفيق فى الإسكندرية. فأدار الأمر كما يريد الإنجليز وفى هذه الفترة فتح ديليسبس قناة السويس بعد أن ضمن لعرابي حياد القناة فتحولت ثورة الرجل الثائر عرابي إلى هوجة عرفت باسم (هوجة عرابي)!! وحتى لا يظهر الأمر على حقيقته سميت نساء لجنة الوفد بأسماء أزواجهن السياسيون المشاهير،واعطيت لهن عضوية تبعية؟! ولأننا لا نسئ أو ننظر للأمر بلون واحد نذكر ما قاله د: (عبد العظيم رمضان):فهو يقول بأن البرلمان الأول فى عصر توفيق (نوفمبر 1891) كان تحت رئاسة (محمد سلطان باشا) والد هدي شعراوي وهو الذى سماه ببرلمان (توفيق– عرابى) وأن حركة الجيش التى قام بها عرابي وزملاؤه بدأت بعيدة عن الحركة الوطنية التى قام بها الزعماء الدستوريون محمد سلطان باشا ومحمد شريف باشا وغيرهم التى كان تستهدف إقامة حكم دستوري.أما حركة الجيش فقامت لأسباب خاصة تتعلق بسوء أوضاع الضباط المصريين بالنسبو للضباط الشراكسة.وأنه عندما استعجل الخديوى وألقى القبض فى يناير 1881 على أحمد عرابي وزميليه: علي فهمي وعبد العال حلمي وحبسهم فى ثكنات قصر النيل، أسرع أفراد من الجيش وأطلقوا سراحهم وكانت الخطة أن يهرب عرابي ويختفى مع رفيقيه خوفاً من بطش الخديوي، ولكن عرابي أظهر شجاعة نادرة إذ قرر أن يتجه لقصر عابدين بهذه القوة

الصغيرة ليتحدى عباس رفقى وزير الحربية وقتها وفى فبراير 1881 قدم عرابي للخديوي طلب خاص بالجيش بتعيين سامي البارودي وزيراً للحربية. وبالرغم من أن حادث قصر النيل لم يقصد منه التمرد على الخديوي ولا مواجهة النفوذ الأجنبي. فإنه كان له أثره على الرأى العام فأكسب الحادث عرابي شهرة باعتباره استطاع أن يتحدى حكومة رياض باشا ويرغمها على تغيير الوزراء الأمر الذى جعل القادة الدستوريون يسعون إلى الجيش) وأخذت تعقد الاجتماعات للاتفاق على برنامج عملي سياسي وأخذالمسرح السياسي يستعد لمظاهرة عابدين يوم 9سبتمبر 1881 واتضح التنسيق فى أهداف عرابى التى قدمها للأمة فقد وضع الدستوريون مبادئهم فى مطلبين من أربعة لعرابي:

-إسقاط الوزارة المستبدة.

-تشكيل مجلس نواب على النسق الأوربى

وبغير هذا التنسيق لم يكن محمد شريف باشا ليختار لتأليف الوزارة الجديدة. وإنه لا ينكر أحد أن (محمد سلطان باشا) فى ذلك الوقت وهو رئيس للبرلمان،خرج حتى على الدستوريين،حينما طلب شريف باشا ألا يكون لمجلس النواب حق مناقشة الميزانية وإقرارها وحينما قال شريف باشا (مناقشات البرلمان فى هذا ستعطى إنجلترا وفرنسا حق التدخل) وقال له (محمد سلطان) ونحن لن نسمح لهم .إلا أنه بسقوط وزارة شريف باشا.وظهور وزارة شبه عسكرية برئاسة محمود سامي البارودي فى فبراير 1982 وفيها عرابي وزيراً للحربية ظهرت العين الحمراء لفرنسا وإنجلترا فى

مصر. ورغم ما يقرره د: عبد العظيم رمضان فإن المصريين لم ينسوا دخول الإنجليز على خيولهم ومعهم محمد سلطان باشا يرحب ويهش وينش لهذا الاحتلال؟!

ولم ينسى ذلك لا سعد زغلول ولا الشيخ محمد عبده.

قبض الإنجليز على سعد زغلول يوم 8 مارس 1919 وقامت الثورة فى اليوم التالى.ولكنها كانت فى إسبوعها الأول ثورة رجال فقط. واجتمعت فى بيت سعد زغلول: صفية زغلول وهدي شعراوي وحرم محمد محمود باشا.وقالت هدي شعراوي إنها كتبت برقية احتجاج باسم سيدات مصر إلى زوجة المندوب السامى البريطاني.وأن زوجها علي شعراوي أخذ البرقيات وعرضها فى اجتماع الوفد وعاد لها متهللاً: لقد أعجب الوفد ببرقيتك حتى أننا قررنا حفظها فى محضر الجلسة.وقالت هدى: البرقيات لا تكفى يجب أن تخرج المرأة المصرية إلى الشارع.؟! فقالت زوجة محمد محمود: إننى لم أضع قدمى فى الشارع منذ زواجي ولكننى موافقة على الخروج ولو ضربني الإنجليز بالرصاص.وقالت هدي شعراوي:إذن نحن فى حاجة لمظاهرات نسائية تهتف بسقوط الاحتلال،ولو قتل الإنجليز منا واحدة فسوف تلتهب مصر كلها.اتركوها لى.وقامت بالاتصال بصفية زغلول،فطلبت منها الحضور.وكانت صفية زغلول جاهزة للقبول والدفاع عن خروج المرأة،واتصلت هدي شعراوي بزوجها علي باشا تعرض عليه الفكرة فذهل! كيف تخرج السيدات المحترمات إلى الشارع! ولكنها استعملت طريقتها قائلة: إن صفية زغلول ترى ذلك وهى ترى أن هناك

سلبية من الوفد فى معالجة أمر القبض على سعد زغلول، زعيم الأمة فأعرض الأمر فى اجتماع الوفد الذى ترأسه باعتبارك رئيس الوفد بالنيابة. وعند عرض الأمر على اللجنة وقف عبد العزيز فهمي.ومن أخطرك بذلك ياشعراوي؟! فقال الشعراوي: زوجتنا المصونة التى كانت فى زيارة لأم المصريين وكان معها حرم محمد محمود باشا، فسأل عبد العزيز فهمي محمد محمود باشا: هل علمت بذلك من زوجتك؟! فقال محمد محمود فهمي. لا. وأنى أسجل من الآن رفض الفكرة، ولن تخرج زوجتي من منزلها،ولن تزور أحد بعد اليوم وإذا بعبد العزيز فهمي ينظر شرزاً للشعراوي ويقول: إنى أعجب أن سيدة عاقلة مثل صفية هانم تقترح مظاهرة النساء فى الشوارع؟!

وضاق علي شعراوي بما قاله عبد العزيز فهمي فمعنى ذلك أن زوجته صاحبة الفكرة وأنها المجنونة الوحيدة بين النساء الثلاثة فقال: ولماذا لا نسأل صفية زغلول؟! ويقول عن ذلك مصطفي أمين فى كتابه (من واحد لعشرة): اتصلت هدي شعراوي بزوجها علي شعراوي باشا تعرض عليه الفكرة فذهل! كيف تخرج السيدات المحترمات إلى الشوارع! وكان علي شعراوي باشا رجلاً وقوراً فى السبعين من عمره، يطلق لحيته ومن أهالى المنيا المحافظين المتمسكين بالتقاليد، ولكنه كان أكبر بأربعين سنة من زوجته وكان يحبها حباً يقرب من العبادة،فلم يستطع أن يقاوم تصميمها على المظاهرة، وخاصة بعد أن أخبرته بأن هذا رأى صفية زغلول وحرم محمد محمود باشا، فوعد بأن يعرض فكرة مظاهرة السيدات على أعضاء الوفد فى الاجتماع ويبلغها بالنتيجة.وعقد الوفد اجتماعاً وما كاد يعرض

علي شعراوي باشا الفكرة حتى هاج وماج كل الأعضاء ورفضوا خروج النساء فى مظاهرة، وكان من رأى الأغلبية أن هذا الفعل وقاحة وقلة حياء.وكان من رأى الأقلية أنها مع تقديرها للوطنية التى أملت هذه الفكرة الجريئة.إلا أن الأغلبية العظمى للشعب تستنكر خروج النساء إلى الشوارع، وأن هذا سوف يقسم الرأى العام فى مسألة فرعية، بينما هو مجمع لأول مرة على مسألة واحدة هي مسألة الاستقلال، فخروج النساء للشارع سيجعل البعض يعتبر الثورة خروج على الدين الإسلامي، وبذلك تنفض أغلبية الشعب عن الثورة..وكانت الأغلبية التى تعتبر خروج المرأة إلى الشارع وقاحة وقلة حياء مؤلفة من: علي باشا شعراوي نفسه، وعبد العزيز فهمي، ومحمد علي علوبه وجورك بك خياط وحسين باشا واصف وعبد الخالق باشا مدكور ومحمود أبو النصر بك وعبد اللطيف المكباتي وكانت الأقلية التى رفضت رفضاً دبلوماسياً خشية انقسام الأمة من: أحمد لطفي السيد بك ومصطفي النحاس بك وسنوت حنا بك وعلي ماهر بك ودكتور حافظ عفيفي.وذهب عبد العزيز فهمي للسيدة (صفية زغلول) ووجد منها إصراراً، واعتبار منع ذلك تخازل.وأنهى عبد العزيز فهمي الحديث وهو يحاول جاهداً أن يمسك أعصابه.ويقول: تأكدي أننى احترم المرأة وأقدرها

فقالت له صفية:لو كنت تحترم المرأة لما حاولت أن تحرمها من شرف الدفاع عن بلادها!

وأسرع عبد العزيز فهمي بك إلى زملائه وقال لهم أنه يخشى أن تكون صفية هانم قد جنت. وأن صدمة نفى زوجها، أثرت على عقلها! وسمع عبد الرحمن فهمي بما حدث فتطوع بأن يتولى إقناع صفية هانم نظراً للعلاقة الوثيقة بينه وبينها.. ولكن صفية انقضت عليه كما انقضت علي عبد العزيز فهمي. وقالت له إن نساء مصر لسن أعضاء فى الوفد ولا توجد امرأة تمثلهن فى الوفد.ولهذا ليس من حق الوفد أن يصدر الأوامر إليهن! وتحمست السيدات المصريات لتحدى قرار الوفد..واجتمعت مئات السيدات فى بيت الأمة، تولت هدى شعراوي الاتصال تليفونياً بعدد من صديقاتها وراحت السيدة أستر فهمي ويصا وهدية بركات وعطية أبو أصبع وفكرية حسن وإحسان القوصى يتصلن بمعارفهن وصديقاتهن وقريباتهن للاشتراك فى مظاهرة حدد لها يوم 16 مارس بعد سبعة أيام من قيام الثورة. واتفقت السيدات على أن تجتمع عدد منهن فى بيت الأمة، وعدد ثان فى منزل أحمد بك أبو أصبع فى ميدان الاسماعيلية (ميدان التحرير الأن) ثم يتجمع الفريقان فى لحظة واحدة بحديقة جاردن سيتى ومن هناك تتحرك المظاهرة الكبرى..ولم ينم عبد الرحمن فهمي الليل! إنه لم يستطع أن يفهم لماذا تريد أن تزج المرأة بنفسها فى السياسة! لماذا تريد أن تفسد بتصرفها وقار الثورة؟ وكان أكثر مما يزعجه موقف زوجة صديقه وزعيمه سعد زغلول. إنها هى التى تنادى بأن تخرج المرأة المصرية إلى الشارع. وفى الوقت نفسه عندما استقبلته ليناقشها فى هذا القرار لم تقابله وجهاً لوجه. بل إنها وقفت تحدثه من خلف الباب! إنه لم يرها بل سمع صوتها فقط من وراء الستار! أى أنها حرصت على ألا تظهر

بوجهها له فى غياب زوجها، بينما كان يتناول معها الغذاء والعشاء وهى سافرة فى حضور سعد، فإذا كان هذا هو مبلغ حرص صفية على التقاليد فما الذى جعلها تخرج عليها وتصر على خروج النساء إلى الشارع متظاهرات!

وماذا يحدث لو أن الأزهريين أعتدوا على النساء المتظاهرات! وماذا يحدث لو أن بعض الشبان تعرض لهن وألقى عليهن الكلام إياه!!

وفى 16 مارس 1919 عقدت نساء مصر اجتماعاً فى الكنيسة المرقصية وتم انتخاب اللجنة التنفيذية للنساء الوفديات برئاسة هدي شعراوي ونظموا مظاهرة ضد الاحتلال. وأعلنت هدي شعراوي أن شهيدات الثورة هن: شفيقة محمد (أول مصرية تسقط صريعة برصاص الإنجليز) وفهيمة رياض وعائشة وحميدة خليل عدا أخريات مجهولات. وعندئذ فقط آمن عبد الرحمن فهمي بأن صفية وهدي على حق فى إصرارهما على اشتراك المرأة فى الثورة. وبطبيعة (عبد الرحمن فهمي) العسكرية أعجبه التكتيك الحريمى فقد كان الضابط الوحيد فى ثورة 1919م. ورغم إلحاحه على حاجة الثورة إلى الضباط الوطنيين فإن سعد زغلول لم يوافق على ضم ضباط إلى القيادة؟! فقد كان يرى مكان اجتماع النساء فى الكنيسة المرقصية فكرة عسكرية ضمنت سلامتهن وعدم التعرض لهن؟! وسأل علي شعراوي عن ذلك فقال له: استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان؟! ولم يقل شيئاً.

وسجلت هدي شعراوي (خروج المرأة المصرية لأول مرة) فى مذكراتها فقالت: تشكلت لجنة مركزية كان لى شرف رياستها وعملت تلك اللجنة على تنظيم صفوف المرأة فى هذا الجهاد العظيم، ولما قام الإنجليز يصبون نيرانهم على الثائرين– قررت اللجنة إعداد مظاهرة كبيرة تخرج فيها النساء رغم قيود الأحكام العرفية التى تحرم المظاهرات، وتعرض القائمين بها لرصاص الجيش وإلى ما تبع ذلك من عقوبات السجن والتعذيب. هذا كله لم يثن من عزم نساء مصر. فطلبت لجنتنا من السلطة المختصة الإذن بهذه المظاهرة السلبية. فرفض طلبها ولكننا قررنا القيام بها حسب الخطة التى وضعناها وهى أن نبدأ السير من منتزه (قصر الدوبارة) القريب من المفوضية الأمريكية لنقدم لها احتجاجنا أولاً، وبينما كنت أتأهب لمغادرة منزلي فى ذلك اليوم للاشتراك فى المظاهرة بادرنى زوجي بالسؤال: إلى أين تذهبين والرصاص يدوي ويتساقط فى أنحاء المدينة؟ فأجبته للقيام بالمظاهرة التى قررتها اللجنة. فأراد أن يمنعنى، فقلت له: هل الوطنية مقصورة عليكم معشر الرجال فقط. وليس للنساء نصيب فيها؟.. فأجابنى: هل يرضيك إذا تحرش بكن الإنجليز أن تفزع بعض النساء ويولون (يا لهوتي) فقلت له: إن النساء لسن أقل منكم شجاعة أيها الرجال ولا غير قومية..وتركته وانصرفت ولحقت بالسيدات اللاتى كن فى انتظارى وغادرنا عرباتنا وشكلنا أول مظاهرة نسائية منظمة نحمل فيها لافتات كتبت عليها عبارات وطنية وحمل بعضهن أعلام جميع الدول إلا علم إنجليز وسارت المظاهرة فى جلال قاصده المفوضية الأمريكية أولاً حسب البرنامج وكانت تقابل من الجمهور بالتصفيق وتنثر عليها الأزهار

من نوافذ المنازل، وعلمنا أنه أمام قنصلية فرنسا وقف جمهور من الفرنسيين معهم باقات الزهور استعداداً لتحيتنا، وكان المقرر أن نمر بها وبباقي المفوضيات وتنتهى بيت سعد ولكن للأسف عندما وصلت المقدمة إلى شارع سعد زغلول. دهشت إذا رأيت الموكب يتحول عن الخطة المرسومة قاصداً بيت سعد أولاً فأرسلت إلى الدليلات أذكرهن بالاتجاه المتفق عليه، فقلن إنه فى آخر وقت انفصلت بعض سيدات المقدمة على أن تبدأ المظاهرة من بيت سعد ولا أدرى إن كان هناك تدبير مبيت لذلك؟ عندما وصلنا بيت سعد وجدنا أنفسنا محاصرات بالجيش البريطاني ولما أردنا اقتحام صفوفهم تحرش بنا الجنود،وارتكز أحدهم وصوب بندقيته نحوي فتقدمت إليه.وقلت لها بصوت مسموع:فى مصر اليوم مس كافيل أخرى."اشارة إلى المجاهدة الإنجليزية مس كافيل) فتنحى الجندى،وتركنا نمر

ولكن الغريب أن عبد الرحمن فهمي عندما يسجل مذكراته فيما بعد يتجاهل شجاعة (هدي شعراوي) ويقرر بأن الذى قالت: (أتركينى فإننى أريد أن تقع فى مصر اليوم مس كافيل أخرى) وواجهت بنادق الإنجليز بشجاعة الفرسان إحدى المتظاهرات[1]؟!وإن كانت(د.آمال السبكى) فى

([1]) هذا الراى يقول به أيضاً/ أيمن نور (من حزب الوفد الجديد) ويرى أن هناك مظاهرتين للنساء بارزتين ومعاصرتين لثورة 1919:

==

كتابها الحركة النسائية فى مصر تقرر بأن لديها تسجيل ذكرت فيه هدي شعراوي أنها قائلة تلك الكلمة وصاحبة هذا الموقف.ويصف الرافعي مظاهرات 16 مارس 1919 فى كتابه (ثورة 1919، ص120 القاهرة 1947م).: لم تشأ المرأة المصرية أن تحجم عن المساهمة فى تلك الثورة التى اشتد لهيبها فأرادت أن تحظى بشرف هذا العمل المجيد حتى تبرهن للغاضب المحتل على أنها ليست أقل قوة وعزيمة عن اختها الغربية. وحتى تذكى نار الحماسة الوطنية فى قلوب الرجال.. ففى 16 مارس أنطلق كثيرات من عقائل العائلات الراقية يجبن أنحاء القاهرة هاتفات بحياة الحرية والاستقلال، مناديات بسقوط الحماية. وقد مررن بموكبهن بدور

==

- الأولى: مظاهرة النساء فى 16 مارس 1919 وقادتها هدي شعراوي وهي شبه رسمية لنساء الوفد واقتصرت على (النساء الوفديات فى اللجنة التنفيذية للحزب).
- الثانية: مظاهرة النساء فى 10 أبريل 1919 وقادتها امرأة لا تذكرها الأجيال ولا تعرف حياتها فى الحركة النسائية فى مصر هي: (شفيقة محمد عشماوي) وكانت أرملة من شياخة غباشي بالخليفة– قادت ثلثمائة سيدة إلى مقر المعتمد البريطاني تطالب باستقلال البلاد وتدافع عن قادة ثورة 19 فى المنفى (وهى صاحبة عبارة مس كافيل) وإن (شفيقة محمد) تعقبها جنود الإنجليز وقتلوها بالرصاص عند انصرافها وسط هتاف نساء مصر: تحيا الحرية، فى ذمة الله يا شفيقة.

القنصليات ومعتمدي الدول الأجنبية والناس من حولهن يصفقون لهن ويهتفون والنساء من نوافذ بيوتهن يزغردن ويهتفن فكان ذلك منظراً جميلاً رهيباً يأخذ بمجاميع القلوب. ولكن لم يكن للسلطة أن تترك مثل هذا الموكب الرائع دون أن تشوه من جلاله فضرب الجنود الإنجليز نطاقاً حولهن وسدود إليهن فوهات بنادقهن وحرابهن. على أن السيدات لم يرهبن هذا التهديد، ولم يفت عضدهن مشهد أولئك الجند المسلحين بل تقدمت واحدة منهن إلى جندي كان قد وجه إليها بندقيته وقالت له بالإنجليزية: (أطلق بندقيتك فى صدرى لتجعلوا فى مصر مس كافيل ثانية) فخجل الجندى وتنحى للسيدات عن الطريق بعد أن لبثن فى وهج الشمس أكثر من ساعتين.

فهل نقل عبد الرحمن فهمي عن الرافعي أما أنه كان لا ير فى نشاط المرأة السياسى فى الوفد فائدة وقد فجرته هدي شعراوي منذ بداية الحركة الوطنية الجديدة تحت قيادة سعد (نوفمبر 1918)؟! على كل حال فقد استمرت انتقادات عبد الرحمن فهمي اللازعة لهذا النشاط. فلقد اعتادت اللجنة المركزية لسيدات الوفد أن تحتج ببرقية على كل ما لا يروقها. وتنهى برقيتها بتوقيعات للسيدات المشاركات بالاسم ثلاثى بالطبع تبدأ التوقيعات برئيسة اللجنة (هدي شعراوي). وكثرت هذه البرقيات وأصبحت تشغل جزء من اجتماعات الوفد– وفى أحد المرات قال عبد الرحمن فهمي أثناء الاجتماع: وأية أخبار اللجنة المركزية للبريد! وكان يقصد بالطبع اللجنة المركزية لسيدات الوفد!! ولكن هدي شعراوي استمرت فى حركتها وحيويتها.وفى 13ديسمبر 1919اجتمعت مع عدد

كبير من نساء مصر فى اجتماع سمى (بالكاتدرائية المرقصية) وأعلنت هذه المرة عن مغزى التكتيك الذى يهتم به عبد الرحمن فهمي (لأن المكان له دلالته إذا لم يشعر المصريون باختلاف المذاهب الدينية بين مسلمين وأقباط) وناقشوا وكان احتجاجهن على:

نفى الزعماء المنتخبين أبان الثورة.

المعاملة القاسية للشعب طوال الثورة.

لجنة ملنر.

الوزارة المعنية بمساعدة الإنجليز (وزارة وهبة باشا).

رفض مطلب مصر بحضور مؤتمر الصلح وضرورة إعلان استقلال مصر.

وحينما علم سعد زغلول أعجب (بهدي شعراوي) وبمبادئها السابقة وأدهشه بأن 71 سيدة وقعن بيان 13 ديسمبر 1919 وبأسمائهن مباشرة فقد تخلت المرأة فيه عن كتابة توقيعها بحرم فلان العلان!! وسألها لماذا هتفن بالإنجليزية فى مظاهرة 16 يناير 1920؟! فقالت هدي شعراوي: ليفهم الإنجليز إننا جميعاً نريد الاستقلال. الرجال والنساء. فقال لها: اهتفوا بالعربية وارفعوا علم مصر، يجب ألا يعتقد المصريون أنكن نبت غريب.وكتب عن ذلك عبد الرحمن فهمي فى مذكراته: قامت بعض السيدات المصريات بمظاهر لطيفة فى ميدان المحطة إلى لوكاندة شبرة. وهناك هتفن لسنيوت حنابك المقيم هناك وللوفد المصرى ورئيسه. وللاستقلال التام لجريدة مصر. ولما وقع نظر السيدات على بعض

الضباط الإنجليز أخرجت كل واحدة علماً مصرياً صغيراً وصحن بأعلى أصواتهن تحيا مصر حرة مستقلة. الاستقلال التام أو الموت الزؤم. يحيا سعد باشا زغلول. يسقط ملنر. وكل هذه الندائات باللغة الإنجليزية.على أن أهم ما فى الموقف هو أن عبد الرحمن فهمي يسجل فى تقرير له للوفد مؤرخ فى 2 مارس 1920 أن لجنة السيدات التى ترأسها السيدة حرم شعراوي باشا تحتج على مشروعات رى السودان، وغيرها. ونراه هو يقصد شعراوي باشا لا يهتم بمثل ذلك.ولعل ذلك يفسر بداية تباعد (علي شعراوي) عن زعيم الحركة الوطنية (سعد زغلول) ذلك الموقف الذى تبلور عام 1922 فى تأييد الشعراوي للانشقاق الكبير الذى عرف بحزب الأحرار الدستوريين

فقد عانى الرجل من وجوده وزوجته هدي شعراوي فى حزب واحد.ثم أنهكه الوفد..أخذوا ثروته فهو أغنى رجل فى الصعيد. وكلما عبر عن رؤية مختلفة اتهموه بأنه رجعى التفكير ومتعصب ضد الأقباط.أما هدي شعراوي فقد بدأت تمارس تشاطات خاصة: دعت لجمع تبرعات لإنشاء جمعية لرعاية الطفل وتحمس الناس للدعوة وتم جمع التبرعات لكن الحكومة أوقفت المشروع. وكانت النظارة فى ذلك الوقت تحت رئاسة (الحضرة الفخيمة الخديوية) عباس حلمي وسنة 1908 بدأت الدعوة لمحاضرات ثقافية على السيدات فى قاعة من قاعات الجامعة الأهلية ووافق. الأمير أحمد فؤاد، على تخصيص قاعة لمحاضرات السيدات يوم الجمعة من كل أسبوع. وسنة 1910 اتفقت (هدي شعراوي) مع الأميرة، (عين الحياة) وعدد من الأميرات والسيدات على إنشاء (مبرة محمد علي)

لعلاج الأطفال. وعلى إنشاء مدرسة للبنات. وفى مايو عام 1914 أسست (هدي شعراوي) بمعاونة الأميرتين (عين الحياة) و(أمينة حليم) جمعيتي (الرقى الأدبى للسيدات والمرأة الجديدة) وقد توقف نشاط هذه الجمعيات أثناء الحرب العالمية الأولى.ثم تحولت متحمسة مستقلة للوفد منذ 1916. ثم بدأت مترددة فى علاقتها بالوفد من بداية عام 1922 فهى لا ترى أنها حققت نصراً سياسياً للمرأة من خلال الوفد وفى نفس الوقت لا تستطيع أن تنكر حماس ورعاية سعد زغلول لحركة تحرير المرأة. وفى مارس 1932 وفى يوم 16 ذكرى مظاهرة 16 مارس 1919 أصبحت هدي شعراوي جبهة مستقلة بتكوين الاتحاد النسائي المصري الذى استطاع أن يضم بالفعل عناصر من لجنة الوفد المركزية للسيدات.فقد أحست المرأة فى قرارة نفسها ومنذ بداية الإفراج عنها والأخذ بيدها نحو الخروج الكبير من قفص الحريم– أن الرجل هو صاحب الفضل– وبالتالى فهو لن يتركها لترسم لحياتها باقى المعالم خارج الحرملك. لن يسمح لها أبداً أن تتخطى الدور الذى رسمه لها.تبلور هذا الإحساس رويداً رويداً منذ أن علمت بموقف رجال الوفد الذى رفضوا الاعتراف بها فى بداية الأمر، وباللجنة المركزية التى رأستها أن ذاك هدي شعراوي، وعلى الفور رأت اتخاذ بعض المواقف التى من شأنها توصيل هذا الإحساس للرجل، ومن ثم رفضت بشدة أن تكون مجرد بديل للرجل أو مقلده له ولسياسته، بل أكثر من ذلك عبرت عن هذا الرفض بشكل واضح وصريح حين أصرت عضوات اللجنة المركزية لنساء الوفد أن يكن عضوات كاملات العضوية، وأن يكون لهن الحرية فى التعبير،رافضات

الطاعة العمياء للرجال، لمجرد تحقيق الإجماع فى الآراء خلال الأزمات.وتجلى هذا الرفض أكثر، حين انتقدت المرأة شروط الاستقلال التى وافق عليها من قبل رجال الوفد!.

إن الإحساس بضرورة الاعتماة على النفس، بعيداً عن إرادة الرجل، قد تجلى أيضاً وبصورة مثيرة– فى قرار نساء مصر بضرورة إنشاء اتحاد نسائي للمرأة المصرية.واقتنعت هدي شعراوي أن قضية المرأة.. قضيتها وقضية مصر وأن سعد زغلول بما أعطاها من تأييد. قد كسب بها خطوة للأمام ولككن الوفد كسب بها عدة خطوات فى طريقه السياسي ولكنها اقتنعت أيضاً بأنها لن تحقق نصر سياسي للمرأة عن طريق الأحزاب. بل إنها أمنت بأن كل التحركات الجيدة والتى سمح بها (للجنة نساء الوفد) كانت فى فترات نفى سعد زغلول حينما كانت صفية زغلول تتولى الأمر. ولم يكن اقتناع هدي شعراوي بذلك نابع من طرحها أى قضية لها علاقة بالمرأة، وإنما نابع من التجاهل الذى رأته فى قضية السودان التى تنبتها داخل الوفد– كقضية سياسية وتؤيد هذا الرأى (أمال السبكى فى كتابها) (الحركة النسائية فى مصر ما بين الثورتين 19، 52).أرسلت هدي شعراوي الاحتجاجات السباقة وظلت تعمل فى لجنة نساء الوفد إلى أن اختلفت مع سعد باشا بعد عودته من المنفى نظراً لموافقته على البند الخاص بالسودان الذى رمى إلى مناداة الملك فؤاد بملك مصر دون السودان فى البيان الذى ألقاه توفيق نسيم باشا عند توليه الوزارة فما كان من سعد باشا إلا أن أرسل يهنئه على بيانه. ولم يتطرق مطلقاً إلى هذا التجاهل. فثارت هدي شعراوي ولم يعبأ سعد باشا

بثورتها بل إنه عندما اجتمع بالوفديين فى الاحتفال السنوي للوفد فى 13 نوفمبر 1922، لم يدعوها لحضور الاحتفال ولجنة الوفد المركزية للسيدات منذ ثورة 1919. وفى الوقت الذى أصدر بياناً عن الاحتفال يشكر فيه كل الوفديين على موقفهم أثناء وجوده بالمنفى. فما كان من هدي شعراوي إلا أن أرسلت رسالة إليه شخصياً تخطره فيها بالرغبة فى عدم العمل معه فى اللجنة السابقة كما قدمت استقالتها.كانت هدي شعراوي أصدرت من خلال لجنة الوفد المركزية للسيدات فى 26يناير1920 اعتراضها على ما تنخضت عنه المفاوضات فى مشروع رى السودان ورفضت ذلك لثلاث نقاط:

أولاً: لأن الإنجليز هم الذين وضعوه باعتبارهم أصحاب الشأن فى السودان مع أن مركز انجلترا هناك غير شرعي، ولا يختلف فى بطلانه عن مركزها فى مصر فإن كليهما قطر واحد لا يقبل التجزئة وحقهما فى الاستقلال لا يمكن إنكاره.

ثانياً: لأن هذا المشروع ثبت ضرره بدليل ما نشره الأخصائيون من كبار المهندسين المصريين والإنجليز.

ثالثاً: لأن البت فى مثل هذه المشروعات من اختصاص المجلس النيابى الذى يمثل مصر والسودان معاً.

على العموم طورت هدي شعراوي خطواتها فدمجت جمعيتى (الرقى الأدبى للسيدات المصصريات وجمعية المرأة الجديدة) فى جمعية واحدة هى المرأة الجديدة تحت رعاية شرفيه للأميرة (أمينة حليم) وجعلت مجلس الإدارة

برئاسة حرم محمود صدقى أما أمانة الصندوق فأسندته إلى فهيمة ثابت وكان ذلك فى 22 أبريل 1920.

أما اللجنة المركزية للسيدات فقد تركتها لوكيلتها شريفة فاضل التى لم تقم بأى عمل سياسي فى اللجنة بل إنها انضمت لاحقاً إلى الاتحاد النسائي الذى أنشأته هدي شعراوي.

وركزت هدي نشاطها على إلقاء المحاضرات فى الفنون والأداب وأقامت الحفلات الموسيقية لأشهر العازفين وسمحت بالغناء والتمثيل فى بيتها وركزت نشاطها فى الصحة والعناية بالأطفال ووجهت المرأة إلى فنون الإدارة المنزلية.ومن المعروف تاريخياً أن بعد فشل مفاوضات (عدلي– كيرزن) 1921 التى كانت بين الحكومة المصرية والإنجليز عاد عدلي يكن وقدم استقالته– وعادت الثورة من جيد وامتنع الساسة من المصريين عن تشكيل الحكومة وألقت انجلترا القبض على سعد وزعماء الوفد وتوسعت انجلترا فى القبض حتى وصلت إلى القيادة الخاصة فى الوفد. ثم نفى سعد زغلول وبعض زملاؤه للمرة الثانية إلى جزيرة سيشل. فى هذه الفترة ظهرت المرأة المصرية فى ثورة بيضاء سلمية قائمة على المقاطعة لكل ما هو إنجليزي (البضائع– السفن– البنوك) وبالطبع قامت اللجنة المركزية لنساء الوفد بدور كبير فيها تحت رئاسة هدي شعراوي. وكان إقبال الشعب على المقاطعة رائعاً.. وبدأت تفلس أكبر المحلات التجارية البريطانية فى القاهرة. أفلس محل (ستاين) ثم محلات (مورنج) وأحداً أثر واحد.. وبدأت البنوك البريطانية تغلق فروعها. ثم تغلق أبوابها. خرج

الناس ينفذون المقاطعة بإرادة غريبة. كانت بعض المحال التجارية البريطانية تخفض أسعارها إلى النصف لتغرى الفقراء ومتوسطى الحال بالخروج على قرار المقاطعة وصمد المصريون للإغراء، فضلوا أن يشتروا البضائع غير البريطانية الغالية على البضائع البريطانية الرخيصة. طلب الوفد من الشعب أن يسحب أمواله من البنوك البريطانية ويودعها فى بنك مصر، وفى يوم وليلة خرجت الملايين من الخزائن البريطانية ودخلت بنك مصر. نشطت الصناعات المصرية أصبح كل مصرى يتباها بأنه يرتدى حرير اللوزي أو قماشاً من صنع المحلة.

أصبح محل تجارة حامد المواردى فى العتبة أعظم محل تجاري فى القاهرة. كبر فجأة وتغلب على شيكوريل وشملا والبون مارشيه وأورزدي باك. فشلت كل محاولات لورد اللنبى والحكومة لإفساد المقاطعة. ويصاب الإنجليز فى مصر بانهيار ويلحون على لورد اللنبى بضرورة التسليم للثوار ويبرق اللورد إلى حكومته فى ذعر (إن الثورة تزداد اندلاعاً. هذا الموقف الخطير لا يمكن أن يستمر. إما أن نضم مصر العنيفة العداء للإمبراطورية وإما نستسلم استسلاماً تاماً!).

وعبثاً حاول الإنجليز أن يعرفوا أين تطبع منشورات المقاطعة، ولم يتصوروا أن نساء مصر هن اللاتى يتولين هذه الحرب الخفية.. ولم يتصوروا أن مقابلات السيدات فى بيوت مختلفة فى الصالونات هى اجتماعات سرية توضع فيها خطط المقاطعة.إلا أنه فى عام 1922 حدث ما لم تتوقعه هدي شعراوي؟!

فقد حضرت صحفية أمريكية تدعى (جريس تومسون) لترى نساء مصر بعد أن أصبح تعلقهم ومظاهراتهم مع الوفد محل نظر الدنيا وكتبت كتاباً اسمه (الزغلوليات) أى نساء ثورة مصر زغلول.والتقت فى ذلك الوقت بالسيدة صفية زغلول والملكة نازلي.وإذا ببعض السيدات تخطر هدي شعراوي بأن صفية زغلول لم تذكر عنها شيئاً رغم تحدثها باستفاضة عن غيرها من نساء الوفد، وأنها تنسب فكرة المقاطعة لنفسها.

وفى لحظة غضب أعلنت هدي شعراوي السر: لقد اجتمعنا فى منزلي وبعيداً عن لجنة سيدات الوفد سبع عشر سيدة برئاستى وطرحت فكرة المقاطعة وانتخبنا عزيزة فوزي والسيدة جميلة عطية والأنسة سيزا نبراوي سكرتيرتي ووضعت خطة للمقاطعة بنفسي من عدة بنوة:

أولاً: رفع احتجاج الجمعية على سياسة إنجلترا نحو مصر والسودان إلى مندوب هذه الدولة بمصر وإلى وزارة خارجيتها بلندن وتبليغ ذلك للحكومة المصرية.

ثانياً: العمل على انتخاب لجان فرعية فى المدن والمحافظات لترويج هذه الدعوة.

ثالثاً: نشر نداء للشعب تستحثه على تأييد مبدأ المقاطعة والعمل على تنفيذها.

رابعاً: نشر نداء للتجار وأرباب الصناعات تستحلفهم بحق الوطن عليهم، ألا يستوردوا بضائع جديدة أو آلات صناعية من انجلترا.

خامساً: أن تعقد جلسات اللجنة كل أسبوع يوم الجمعة بعد الظهر بمنزل الرئيسة إلا إذا طرأت ظروف مستعجلة.

وقالت عبارة رنانة.فلم تكن معنا ولا عرفت بما نفعل السيدة صفية زغلول،وليس عندى مانع أن يكون المشروع هودج ركبته أم المصريين!!

وكتبت سيزا نبراوي فى مذكراتها: أن المقاطعة كانت بدايات أعمال الاتحاد النسائي فى ذلك الوقت أما تاريخ 16 مارس 1923 فهو تاريخ التأسيس بعد الإجراءات الإدارية.وإذا كانت صفية زغلول اعتبرت حرم بهى الدين بركات باشا (أركان حرب المقاطعة) فالحقيقة أن هدي شعراوي (فيلسوفة المقاطعة وصاحبة الاقتراح) وظهر كتاب (جريس تومسون) لأول مرة مترجماً للعربية عام 1970 كشف عنه النقاب (محمود عوده) وجاء فيه: لقد دهشت أن الشرقيات كما يصورهن خيالنا الغربى المريض قد انقرض فيهن الحوريات المضطجعات فى استرخاء يعرضن فتنتهن على أرائك ناعمة من الحرير وحولهن الجواري،لقد وجدت مدام زغلول وهى سيدة تبدو للناظر من الوهلة الأولى ذات شخصية قوية وذات كبرياء ووداعة، فلقد أعتقل زوجها زغلول للمرة الثانية إلى جزيرة سيشل فى 22 ديسمبر 1921 بعدما رفض أن يعتكف فى عزبته، وشهدت صفية هانم اعتقاله وظلت هادئة ساكنة حتى غادر زوجها البيت. وكما قالت لها: أن سعد سجين سيشل ولكننى هنا روحه الثانية وزوجته التى تصون مكانه.كذلك ردت بعنف وبثقة على المندوب السامي عندما عرض عليها امكانية مصاحبتها لزوجها بسيشل حيث قالت: إننى سأظل فى

القاهرة وسأعمل كل ما فى وسعى لأتم عمل زوجى وأنتم تستطيعون أن تنفوا جسمان سعد ولكنكم لن تستطيعوا أن تنفوا روحه لأنها تعيش وستظل تعيش، وفى بيته سأكون سعداً متى يعود. وهو سيعود لأن الشعب لن يرضى بغيابه، ولن يمكنكم من إبعاده طويلاً. وحتى لو مات سعد فسيأتى كثيرون غيره وسيتقدمون الصفوف وسأفعل كل ما أستطيع لإشعال روح الثورة فى سبيل استقلال مصر..كما أعدت صفية زغلول ولجنة الوفد للنساء منشوراً وزع فى كل أنحاء البلاد بعنوان (نداء حرم الرئيس) قالت فيه: لئن كان سعد شيخاً فثقوا أن هذا النفى لا يهد من عزيمته إلا شئ واحد هو أن يعلم يوماً أنكم اعتراكم الضعف وبدأت عقلية الرئيس وزعماء الوفد فى المنفى وزعماء الصف الثانى فى السجون صفحة كفاح مجيدة لسيدات مصر وقد بدأ احتجاجهن يأخذ شكله العملى بتنظيم مقاطعة البضائع البريطانية.وانضم إلى السيدات عدد كبير من سيدات المرأة الجديدة. وجمعية محمد على الارستقراطية للكفاح من أجل استقلال حقيقى للبلاد.ولم تكن صفية هانم فى الحقيقة سوى أم لكل المصريين، ولهذا لقبت (بأم المصريين) فكانت الزعيمة الروحية للنساء والرجال خاصة من عينة زوجها، وكانت الرئاسة الفعلية للجنة السيدات فى يد سيدة مصرية ثانية عظيمة، هى السيدة (هدي شعراوي) وهى سيدة هادئة رزينة وزعيمة وقائدة بكل معنى الكلمة وهى تحمل فى وجهها شخصيتها تلك القوة الصافية المتدفقة التى تحسها أمام النيل ونهر مصر العظيم ووراء مظهرها المهذب الشامخ يحس الإنسان أيضاً أن هناك عقلاً مرتباً، وإرادة صلبة. ولم تسمع هدي شعراوي شهادة تقديرها الحقيقية،

وتركت نفسها لأوهامها التى صنعت الجفاء بينها وبين الوفد والمقاطعة الحريمى بينها وبين صفية زغلول.وقد تطورت أحاسيها المبالغ فيها حتى أنها اعتقدت بأن صفية زغلول هى التى أوعزت إلى سعد زغلول بالعناية (بمنيرة ثابت) لتحل محلها فى الوفد بعد ما أظهرته أختها فهيمة ثابت من وطنية بسفرها مع صفية زغلول عند مرض سعد زغلول فى المنفى!!

ولكن علي الشعراوي ما أن استراح لاستقالة زوجته من الوفد حتى فوجئ بقصره يتحول إلى ملهاة ثقافية– غناء– وتمثيل واجتماعات و... و... لقد أرخت هدي شعراوي العنان وتركت نفسها لنشاط فنى وبدأت تهيم بالموسيقى التى تعلمتها فى الصغروتركتها وراءها..كانت لا تستطيع أن تفر من ذلك وقد أصبح يشرف على جمعيتها (المرأة الجديدة) الهوانم السيام اللاتى دخلن فى ركاب الأميرة الطيبة المهذبة (أمينة حيلم) التى وضعت جزء من ثروتها لهذا النشاط. وخرجت زينب الغزالي من الإتحاد النسائي المصري لهدى شعراوى،لم تتحمل القطط السيام

قالت إنهن علمانيات،يقدسن الغرب!وذهبت 1937كرئيسة لجمعية السيدات المسلمات؛وذلك تأثراً بفكر جماعة الإخوان المسلمين بعد النجاة من حادث "حريق" والذي زعمت زينب الغزالي من خلاله أنه شكل منعطفاً في المسيرة الحياتية التي ابتدأت بالإتحاد النسائي المصري وانتهت في أحضان جماعة الإخوان المسلمين،ولربما من الضروري إيراد قصة الحريق كاملة حيث جأت القصة على النحو الآتي:"...أشعلت "الوابور"، وسرعان ما أمسكت النيران بثيابها، ليتم إنقاذها بعد أن طالت

النيران أجزاء واسعة من جسمها وبخاصة وجهها. تم نقلها على الفور إلى المستشفى القبطي (أحدالمستشفيات الشهيرة برمسيس بقلب القاهرة)بعد الإسعافات الأوليةووضع المراهم والدهانات المناسبة لعلاج الحروق،قام الطبيب بتغطية الأجزاء التي تعرضت للنيران بالشاش الأبيض الذى غطى جسمها كله تقريباعندما أفاقت من الإغماء وبدأت تسترد وعيها، ورأت هول ما جرى لها، نذرت لله تعالى نذراً إن شفاها من هذا الحريق،وخرجت منه سليمة لا أثرله في وجهها وجسدها، أن تهب نفسها للدعوة إلى الله،وأن تترك الاتحاد النسائي وأن تؤسس جمعية إسلامية نسائية خالصة، تدعو إلى الله على بصيرة، وتنطلق في أهدافها من القرآن عاشت زينب في هذا "الكفن الأبيض" لحظات صعبة، لكنها كانت واثقة من إكرام الله لها ورحمته بها..وبالفعل، جاء موعد فك الضمادات والشاش الأبيض،ليفاجأ الطبيب المسيحى بالتئام الحروق وشفائها تماماً، وما كاد ينتهي من رؤية آثار الحروق حتى أغمي عليه وهو يصرخ: "عيسى حي..عيسى حي" لقد شفيت تماماً معجزة، لتخرج بعدها وتذهب لهدى شعراوى وتقدم إستقالتها من الإتحاد النسائى شعرت زينب أن الله عز وجل أكرمها كرماً كبيراً وأن القدر يعدها لمهمة كبرى، وأنه آن الآوان لتنفيذ العهد الذي قطعته على نفسها وهي في هذه المحنة، التي خرجت منها أكثر حماسة وأصلب عوداً..سردت بمذكراتها ذلك فى نوع من محاولة محاكاة قصص "الأولياء،والصالحين" والتي ترزح تحت وطأة "المعجزات" واستمرت على ذلك النحو فأدعت إن الرسول قد زارها فى السجن 4مرات، وقال لها:"انتى يا زينب على حق على قدم محمد عبد الله

ورسوله" وكررها 3 وفجأة تفجرت قنبلة اسمها (فاطمة سرى).. قيل أنها تزوجت عرفياً من (محمد شعراوي) ابن هدي هانم شعراوي بورقة سرية فى 1 سبتمبر 1924!! ولم تكن فاطمة سوى مطربة أعتادت هدي شعراوي أن تجعلها تحى حفلات جمعيتها (المرأة الجديدة) وذلك لحسن حظها وذوقها الرفيع فى الملابس فقد قال لها يوسف وهبي: فاطمة سرى فنانة مستقيمة من المسرح للبيت ومن البيت للمسرح– إنها بنت ناس!! وكان غريباً أن تثق هدي شعراوي فى يوسف وهبي دون جوان الفن؟!

وجاء ذلك فى وقت ظهور الاتحاد النسائى المصرى ككيان سياسي تحت رئاستها وتضمن برنامج الاتحاد النسائي مطالب شاملة فقد طالب باستقلال مصر والسودان وحياد قناة السويس حتى لا تستخدم فى الحروب وضد مصالح مصر، كما يوكل لمصر حق الدفاع عنها ورفض تحمل ديون تركيا القديمة، وطالب بإلغاء الامتيازات الأجنبية، كما نادى بوضع قاعدة للمفاوضات مع بريطانيا ثم طالب بإدخال تغيرات على دستور مصر أهمها وضع الديمقراطية السياسية موضع التنفيذ بأن تمنح المرأة حق الانتخاب وبإلغاء القوانين الاستثنائية والرجعية وقانون التضمينات وكذلك الاهتمام بتحسين الجيش المصرى لأنه أهم وسيلة للدفاع عن الوطن الحبيب والسعى لتطوير كافة وسائل المواصلات السلكية واللاسلكية. هذا فى المجال السياسى، أما المجال الاجتماعى فقد دعى إلى نشر التعليم الابتدائي بصفة إلزامية وطالب بالإكثار من البعثات العلمية وفتح باب التعليم القانونى والعالى أمام الجنسين ودون التقيد بسمة معينة مع تعليك الطلاب الصحة العامة والقانون والموسيقى

لتهذيب النفوس وزيادة الوعى والحث على استكمال الجامعة المصرية وتشجيع حركة الترجمة لما لها من أثر بارع فى نقل نفائس الكتب وأمهات المعرفة، وطالب بتطوير الصناعة وفتح باب الأسواق أمامها وحمايتها من المنافسة الأجنبية وتشجيعها أمام المصريين خاصة بكافة الوسائل. وأخيراً محاربة المسكرات والمخدرات.

أما ما يخص الجانب النسائى.ففى مجال التعليم المطالبة بجعل الوظائف الإشرافية للمرأة والمطالبة بحقوقها المهضومة وقانون الانتخاب والسعى لحل المشاكل الأسرية بطريقة عادلة تضمن للمرأة حريتها وإنسانيتها، وضع قانون يمنع تعدد الزوجات والمطالبة بجعل الطلاق أمام القاضى، إلزام المطلق بالنفقة، وزيادة سن الحضانة للأطفال وغيرها من القوانين فى مجال الأحوال الشخصية.

واستطاع اتحاد هدي شعراوي أن يجذب إليه أنشطة الجمعيات الأخرى وخاصة بعد رحيل سعد زغلول الذى قدم السند الأدبى الكبير لحركة المرأة المصرية. وفى مارس 1923 ظهرت هدي شعراوي فى المؤتمر النسائي بروما ممثلة للمرأة المصرية حيث ألقت كلمة عن أوضاع المرأة فى مصر، فرقت فيها بين أصول الدين وما كفله للمرأة من حقوق وبين الأوضاع الاجتماعية السائدة التى تكرس الوضع الدونى للمرأة. وانضم الاتحاد النسائى المصرى للاتحاد النسائي الدولي على أساس المطالبة بحقوق المرأة السياسية والمدنية والعمل على نشر مبادئ السلام.

وفى عام 1924 اجتمعت نساء الوفد مع جمعية الاتحاد النسائى المصرى وأصدرن كتيباً يشمل تصوراً شاملاً وعاماً به قسم سياسى عن موقفهن عن القضية المصرية وقسم عن تعديل الدستور وقسم آخر عن الأوضاع الاجتماعية كما ضم الكتيب قسماً نسوياً يطالب بحقوق المرأة مثل المساواة فى التعليم، وزيادة مدارس البنات الثانوية، وفصل إدرة تعليم البنات عن تعليم البنين، وإحلال خبيرات من النساء محل الرجال فى فروع التعليم النسوى، واشتراك النساء فى حق الانتخاب وإصلاح قانون الأسرة بسن قانون يجعل تعدد الزوجات للضرورة فقط، وأن يكون تطليق المرأة أمام القاضى الشرعى، وقد أرسل هذا الكتيب والذى يكاد يضم برنامجاً كاملاً لحزب سياسي نسائي إلى رئيس مجلس الشيوخ والنواب، والصحافة وعدد كبير من المواطنين والمواطنات.

وعادت هدي شعراوي لقصرها سعيدة قريرة العين ليفاجأها زوجها بما تنشره الصحف ووقفت هدي شعراوي مزعورة مما كتب من قلم جوعان وقلم غلبان وقلم كرباج وقلم هلفوت وقلم حوت وقلم ملطوط.. فما الذى تنشره مجلة (فتاة النيل) و(الصباح) ولكن ما أدهشها صورها.. وهى تمثل سافرة مندمجة فى الدور!! وغاص علي شعراوي فى مقعده حينما قالت هدي: هذه الصور، حقيقية ولكن كيف خرجت من البيت؟!وعرف علي شعراوي أن زوجته (سبع صنايع)– اكتشف أنها شاعرة وكاتبة وأنها تحسن التمثيل كما تحسن العزف على البيانو! واكتشف أن فى منزله معمل صغير لصناعة العطور تبتكر بداخله أصنافاً جديدة تهديها هدي هانم لصديقاتها.وبالتحرى وجد فى حديقة قصره استديو خاص تحمض فيه

الصور وتكبر اللقطات– وأن زوجته كونت فرقة من الصديقات تقوم فيها بدور المخرج ومهندس الديكور وأن الممثل الوحيد فيها من الجنس الخشن هو نجله (محمد بك شعراوي). أما الرجل الذى وجده فى الصورة المنشورة لزوجته هى سيزا نبراوى وقد اندمجت مع هدي شعراوي فى دور روميو العاشق الولهان بعد أن تنكرت ولبست ملابس الرجال؟! وحطم علي شعراوي استوديو التصوير وقرر أن يغلق باب القصر بسلسلة وقفل!! ولكن الرجل وجد طلاب صينيين على باب القصر وسأل فى ثورة: آية دول كمان؟! وعرف أن زوجته تعطف على هؤلاء الطلاب الذين يدرسون فى الأزهر وأنها قد جعلت لكل منهم مكافأة شهرية.وفتح الباب وكسر القفل ولكن هدي لم تخرج وأهتدت إلى أهمية الصحافة وجلست لتعد لمشروع إصدار جريدة مصرية بعيدة عن الإسفاف والحياة الشخصية وأسندت رئاسة تحريرها إلى السيدة سيزا نبراوى. مرافقتها الدائمة وسكرتيرتها الخاصة. وكان مقالها الأول عن لماذا لم يحقق سعد زغلول وعده بدخول المرأة البرلمان واشتراكها فى الحياة السياسية وكان سعد زغلول وقتها يقود الوزارة!! وإذا بعض الصحف ترد عليها بمقال: لماذا لا يتزوج الأبناء على سنة الله ورسوله؟!ووجدت أن موضوع ابنها مع فاطمة سري قد تطور فأرسلت علي بك سعد الدين لها بألف جنيه فقالت له هذا لا يرضى الله؟! وأعتقدت هدي أنها تطمع فى المزيد فأرسلت المحامى الهلباوي بك بأربعة آلاف جنيه فألقتها فطامة سري فى وجهه وقالت له إنت محامى أم قواد؟! وإذا بفاطمة سري تعلن أنها حامل من ابن هدي هانم. وبدأت حركة نسائية كبيرة استعملت فيها الملاية

والحيانى والطماطم والبيض الفاسد. بينما كانت معركة (هدي– فاطمة) دائرة إذا بخطاب يصل من باريس يطالب الاتحاد النسائى المصرى بالمشاركة فى المؤتمر النسائى الدولى العاشر عام 1926 وتحصل هدي شعراوي على تأييدات عربية من النساء لتكون ممثلة عن مصر ونساء العرب (العراق– سوريا– فلسطين– لبنان– شرق الأردن) لتعود من هذا المؤتمروقد فكرت فى الاتحاد النسائي العربي فقد هالها الموضوعات المعروضة فى مؤتمر باريس والتى كانت تسمع عنها لأول مرة: الأم غير الزوجة، جنسية الزوجة، منع تجارة الرقيق، دور المرأة فى السلام العام، بينما كانت فى جعبتها موضوعات: فوضى الطلاق، بيت الطاعة، وضع حد لتعدد الزوجات.وحينما عادت من المؤتمر وجدت نفسها قد حصلت على نيشان الكمال من لبنان. وأصبحت منذ ذلك الوقت رئيسة للاتحاد النسائى العربى (واستمر هذا الاتحاد حتى بعد وفاة هدي شعراوي وفى سنة 1956 تولت رئاسته د. سهير القلماوى واستمرت رئيسته حتى 79 وعلقت عضوية مصر فيه. وألغى الاتحاد النسائى المصرى. وقالت عنه د. سهير القلماوي أنه اتحاد من 16 دولة عربية يحاول أن يعمل للتعارف بين البلاد العربية بأنشطة نسائية ولكنه فى الحقيقة ليس له تأثير سياسى أو إلزام دولى).وفكرت هدي شعراوي فى أهمية إصدار مجلتها (المصرية) باللغة العربية. حتى تستطيع أن تكون بمثابة منبر ليس للاتحاد النسائى المصرى، ولكن الاتحاد النسائى العربى وعرضت رئاسة التحرير على د. سهير القلماوي (الأنسة سهير القلماوي وقتها) وتقول عن ذلك: بدأت فى الإعداد ولكنى فوجئت بأن هدي شعراوي تريدها ترجمة لمجلتها

الفرنسية فرفضت ولم أجد ديمقراطية فى هدي شعراوي. وشعرت بأنه اتحاد هدي وهوانمها وليس اتحاد للمرأة!!ومنذ عام 1926 ومالاتها ظهرت علامة غريبة بين الاتحاد النسائى المصرى والحركة النسائية فى أمريكا وبدأت مجموعة من الزيارات لهدي شعراوي إلى أمريكا (حتى الآن لم يكشف عن تلك العلاقة ومداها،ولم أجد شيئاً بخصوصها فى المراجع)

إلى أنه اتبع الزيارة زيادة نفقتها على تعليم الفتيات فى مصروالاهتمام بالفنون حتى أنها مونت اعمال المثال مختار وهو الذى اطلق عليها اسم (إيزيس– الفن).

بعد عقد معاهدة 36 لم تتفق هدي شعراوى مع النحاس باشا وظل هجومها مستمراً عليه – ولم يأخذ الرجل الأمر بجدية وإنما حكى حكاية عن فاطمة[2] سرى وكيف قابلها فى النمسا حينما هربت لتضع مولودها

([2]) واعلن الصراع بين المطربة والزعيم ولكن الغريبة تبادل الأسلحة، المطربة تستخدم المبادئ التى تنادى بها هدي شعراوي وهدي شعراوي تستخدم أسلحة المغنواتية (نعم.. يا عمر.. وهات يا ردح)..

أنا اسمى فاطمة سرى ولم أغير اسمى لفاطمة شعراوى كما فعلت حماتى (اسمها نور الهدي سلطان) وتزوجت علي باشا شعراوي فأصبح اسمها هدي شعراوي!!

إذا كانت تدعى أنى لا أحب محمد شعراوي.. فلتقل لى هل كانت تحب هى علي باشا شعراوي الذى تزوج قبلها، وكان فرق السن بينهما 40 سنة!!

إذا لم أكن ربيت.. فأنت لم تحسنى تربية ابنك.. لقد خطفنى فى سيارة وأنت تلعمين!!

وقال هدي شعراوي:

==

==

القذرة.. بتاعة مين.. ومين إنها لها ملف فى الآداب.

وكتبت فاطمة سري خطاباً إلى هدي شعراوي أما نصه فقد شنره مصطفي أمين فى كتابه (من واحد لعشرة) وأعاد نشره عدة مرات.

سيدتى:

(سلاماً وبعد.. أنا اعتقادى بك وبعد لك، ودفاعاً عن حق المرأة يدفعنى كل ذلك إلى التقدم إليك طالبة الإنصاف، وبذلك تقدمين للعالم برهاناً على صدق دفاعك عن حق المرأة، ويمكنك حقيقة أن تسيرى على رأس النساء مطالبة بحقوقهن، ولو =كان الأمر مقصوراً على لما أخرجت مركزك، إنك أم تخافين على ولدك العزيز أن تلعب به أيدى النساء، وتخافين على مستقبله من عشرتهن، وعلى سمعته من أن يقال أنه متزوج امرأة كانت فيما مضى من الزمان تغنى على المسارح، ولك حق أن عجزت عن تقديم ذلك البرهان الصارم على نفسك، لأنه يصيب من عظمتك وجاهك وشرف عائلتك كما تظنون يا معشر الأغنياء، ولكن طفلة مسكينة هى ابنتى وحفيدتك، ابنة نجلك العزيز، والله يعلم، وهو يعلم، ومن يلقى عليها نظرة، واحدة يعلم ويتحقق من أنها لم تدنس ولادتها بدم آخر، والله شهيد، وطالبت بحق هذه الطفلة المعترف بها ابنك كتابياً، قبل أن يتحول عنى وينكرها وينكرنى، فلم أجد من يسمع لندائى وما مطالبتى بحق وحقى كزوجة طامعة فى مالكم، كلا! والله فقد عشت قبل معرفتى بابنك، كنت منزهة محبوبة كممثلة تكسب كثيراً، وربما أكثر مما كان يعطيه لى ابنك، وكنت متمتعة بالحرية المطلقة وأنت أدرى بلذة الحرية المطلقة التى تدافعين عنها، ثم عرفت ابنك فاضطرنى أن أترك عملى وأنزوى فى بيتى، فأطعته غير طامعة بأكثر مما كان يجود به، وما كنت لأطمع أن أتزوج منه، ولا أن ألد منه ولداً، ولكن هذه غلطة وإسأليه عنها أمامى، وهو الذى يتحمل مسئوليتها، فقد كنت أدفع عن نفسى مسألة الحمل مراراً وتكراراً، حتى وقع ما لم يكن فى حسابى هذه هى الحقيقة وانتهى الأمر).

==

==

وفى الجمعيات النسائية كان النساء يقلن يخلق من ظهر العالم فاسد (هدي شعراو) تنجب ولداً بهذا السوء أما قصة الحب فلها بداية.. فقد حدث ذات يوم أن دق جرس التليفون فى منزل المطربة الممثلة فاطمة سري، وقال المتحدث إنه ابراهيم الهلباوي بك المحامى المشهور وأن زعيمة النهضة النسائية تدعوها لتغنى فى سرايتها فى اليوم التالى فى حفلة ساهرة.. واعتذرت المطربة عن عدم الحضور لارتباطها بحفلة فى تياترو رمسيس فى نفس الوقت، ألح الهلباوي بك بأن حضور المطربة مسألة ضرورية هامة جداً. وذهبت فاطمة واستأذنت الأستاذ يوسف وهبي أن تغني فى بداية المسرحية بدلاً من نهايتها فوافق، وبذلك تحضر حفلة هدي هانم شعراوي، وأذن يوسف وهبي، وبدأت السهرة ولاحظت فاطمة وهى تغنى أن شاباً يقف فى آخر الصفوف ينصت باهتمام غريب ويلهب يديه بالتصفيق، ولم تعرف فاطمة هذا الشاب، وشكرتها هدي هانم وأعطتها عشرين جنيهاً فى مظروف.

وبعد ثلاثة أيام دعاها محمد شعراوي لتناول الشاى معه فى فندق مينا هاوس ورفضت، وذهبت فاطمة تغنى فى صالة سانتى بحديقة الأزبكية ففوجئت بأن محمد اشترى كل كراسى الصالة لأصدقائه ومحاسيبه يهتفون لها ويهللون ومحمد شعراوي ينظر لها فى صمت وولـه، وبعد ذلك دعاها محمد شعراوي إلى وليمة فى منزل المحامي الكبير إبراهيم الهلباوى ورفضت، وتابعها محمد من سهرة إلى سهرة، ومن حفلة إلى حفلة ومن كازينو إلى كازينو كان لا يتكلم بشفتيه كان دائماً يتكلم بعينيه وكانت عيناه بليغتين فى التعبير عن الوله والشوق والحب والغرام، وذات ليلة أنهت غناءها فوجدته ينتظرها عند سيارتها فنهرته وانطلقت بسيارتها إلى بيتها وعند البيت وجدته هو يفتح باب السيارة وعادت تؤنبه وتوبخه على هذه المطاردة ووعد أن يفك سراحها إذا دخلت بيتها لتبدل ملابسها وتنزل تركب معه سيارته وصعدت إلى بيتها حائرة هل تنزل معه أم تتركه واقفاً على الباب؟ ولكن النظرة الحزينة المتوسلة فى عين محمد دفعتها أن تغير ملابسها بسرعة وتندفع إلى الباب وتجلس بجانب محمد فى السيارة،

==

==

وانطلقت السيارة والحب ثالثهما، وبدأت قصة الحب تتطور بسرعة تنتقل بين الاسكندرية والقاهرة، وكان حباً شريفاً بدأ بقبلة فى السيارة، ثم حدث أن أشارت مجلة الصباح إلى هذا الحب فلم ينزعج محمد ولم يغضب وقال لها أريد أن تعرف الدنيا أننى أحبك! وكانت فاطمة سري مطلقة من مهندس اسمه سيد البشلاوى رزق منها بولدين تركهما مع أمها، ولما عاد من بعثة دراسية فى ألمانيا إلى مصر، وعلم بقصة الحب بين مطلقته ومحمد شعراوي ثار وانتزعهما من أمها.

تعذبت فاطمة لحرمانها من ولديها وإذا بمحمد شعراوي يكتب لها شيكاً بمبلغ ضخم ثمن الأوقات السعيدة التى أمضياها معاً، فمزقت الشيك ورمته فى وجهه وداست بقايا الشيك بأقدامياً وخرجت من البيت غاضبة وغادرت مدينة الاسكندرية بأول= =قطار، ولحق بها محمد شعراوي فى القطار التالى، وأسرع إلى بيتها واعتذر لها عن سوء تصرفه وعرض عليها الزواج واستدعى الشيخ محمد عطيه محامى الدائرة ليكتب صيغة العقد.

وعارضت فاطمة لأن العقد عرفى وتريد عقداً شرعياً فطلب محمد شعراوي منها مهلة ليحول الزواج العرفى إلى زواج رسمى بعد استرضاء والدته هدي شعراوي وشرعت بالحمل وقررت إجهاض نفسها، وذهبت عند الدكتور ابراهيم الشوربجي طبيب الولادة المشهور ليجهضها، فقال لها: إذا أجهضت نفسك فستقتلين نفسك، ولجأت إلى الوصفات البلدية فمنعها محمد شعراوي وتمسك بالجنين.

وعلمت هدي شعراوي بزواج ابنها الوحيد من مطربة فثارت ثورة عارمة واتهمت ابنها بأنه يحاول قتلها بهذا الزواج وأحاط به الكبراء والعظماء والوزراء يضغطون عليه أن يفترق عن المطربة التى أحبها، فزواجه من مطربة سوف يلوث اسمه وسيقضى على مستقبله السياسى، فلا يمكن أن يكون زوج مطربة وزيراً، وسوف يسئ هذا الزواج إلى أسرة سلطان باشا وأسرة شعراوي باشا من راقصة ولا غنائية، وأصروا أن وقوف امرأة على
==

==

المسرح هو عمل فاضح فى الطريق العام، وبدأوا يهددون فاطمة سري، وجاء موظف بوزارة الداخلية يقول لها: إنه سوف يلفق لها ملفاً فى شرطة الآداب يتهمها بالدعارة، وتحداهم فاطمة أن يفعلوا ذلك وقالت لهم أنها ستطلق بنفسها الرصاص على أى وزير داخلية يقوم بهذا التزوير!

وفجأة استسلم محمد العاشق الولهان لأمه واستسلم لها تماماً وسافر معها إلى أوربا.. ولكن الوله والهوي كان يغلبه فيرسل لزوجته فاطمة سري.. أرسل لها أن تلحقه فى سويسرا. وعلمت هدي شعراوي فانتقلت به إلى جنوا.. وقال لها ألحقيني فى إيطاليا وعلمت هدي أيضاً فسافرت به إلى لوزان.. وأثناء الجرى والسفر والمراقبة الشديدة الصارمة من هدي شعراوي لمحمد ابن امه الذى يظهر الأدب والطاعة فى حجرها.. فإذا ترك الحضن الأمى.. تحول إلى عابث صعلوق يجرى وراء النساء!!

وانتقلت فاطمة إلى عاصمة النمسا ووضعت مولودتها وأطلقت عليها اسم (ليلي محمد شعراوي) وأثبتت الولادة فى القنصلية المصرية فى فيينا بتاريخ 7 سبتمبر 1925.

وتصادف أن كان مصطفي النحاس باشا المحامي يومئذ فى فيينا فقابلته فاطمة وروت له القصة وقالت: إنها كذبت على محمد شعراوي، عندما قالت له أن الإقرار فى مصر، فقد كان الإقرار معها فى حقيبتها، فنصحها النحاس أن تذهب إلى محل زنكوغراف وتحصل على صورة مطابقة للإقرار، وتسلم زوجها صورة الإقرار وتحتفظ بالصورة الأصلية، ففعلت فاطمة تماماً ما نصحها به المحامي مصطفي النحاس! وأخذت فاطمة ابنتها ليلى إلى مصر وأخفتها عن العيون، وعاد محمد شعراوي إلى مصر وزارها فى بيتها وسأل عن المولود، فأخبرته أنها طفلة اسمتها ليلى محمد شعراوى وأحضرتها له، فأظهر الأسف وقال لها: يا ليتها كانت ولداً! وإذ به يسألها عن الإقرار؟ وسألته: هل يهمك جداً الحصول على هذه الورقة؟ وقال محمد: بهذا الدليل تثبتين إخلاصك لى إلى الأبد، وكانا جالسين على كنبة فى غرفة المائدة، فأخرجت فاطمة الورقة من تحت

==

==

خشبة المقعد وسلمتها له، وظهرت الدهشة على وجه الزوج لأنه لم يكن يتوقع أن تفرط فى هذا الإقرار الهام بهذه السهولة وفحص الورقة فحصاً دقيقاص فوجدها بخطه وبلون الحبر الذى كتبت به، ولم يتمالك نفسه وقال لفاطمة: أنت أشرف امرأة فى مصر، ثم جثا على قدم فاطمة وقبلها وطلبت منه فاطمة أن يمزق الورقة فرفض وقال: سأحفظها فى مكان أمين لترثنى ابنتى إذا عاشت بعدي، ثم قبل فاطمة واحتضن ابنته وقبلها وخرج وهو يقول أنه سيعود فى صباح اليوم التالى.. ولم يعد أبداً.

اتصلت به فاطمة فى التليفون فأنكر نفسه، فإذا وجدته انهال عليها سباً وشتماً وأغلق فى وجهها التليفون.

وأرسلت له (فاطمة سري) محاميها فهيم باخوم، فاجتهد فى إقناعه باعترافه بابنته وتوسط أن ينهى المسألة على خير ولكن محمد شعراوي قال له: سأرفع عليها دعوى تشهير؟! كان بالطبع وراءه هدي هانم شعراوي!!

وقالت: فاطمة سري لمحاميها ابعث له بأنك ستدخل القضاء فى هذا الأمر بعد أسبوع!! وسلم محمد الخطاب لأمه هدي شعراوي وقال له الهلباوي لا تخف فأنت متأكد من أصل الخطاب الذى فيه الإقرار معك.. وقال له نعم؟! وفجأة ظهر محامى صحف وابن حظ ويعرف الفنانين ومن المعجبين بالأصوات الحلوة وبخاصة (منيرة المهدية) هو فكرى أباظة قرر= =أن يقف بجوار فاطمة سرى ويرفع صوتها الهامس واستطاع أن يحول.. قضيتها من قضية طفلة إلى قضية أمة، وطلب مقابلة سعد زغلول زعيم الأمة وقص عليه القصة وطلب منه أن يستدعى محمد شعراوي الطالب بالحقوق وعضو لجنة الطلبة التى تدين بالزعامة لسعد زغلول ليطلب إليه أن يعترف بابنته ولا يكون مثلاً سيئاً للشباب، ولكن سعد رفض أن يتدخل وقال إنه لا يحب أن يتدخل فى المسائل الشخصية وزيجات وطلاقات أنصاره!! وعاد فكري أباظة إلى سعد يقول له

==

==

إنني هذه المرة جئت لك لتحمى فلاحة مصرية من الدولة، إن عدلى يكن باشا رئيس الوزراء وعبد الخالق ثروت باشا وزير الداخلية طلباً من وزير العدل أن يتدخل فى هذه القضية ويضغط على القضاه، وأجاب سعد أنه سوف يحقق فى المسألة، واستدعى أحمد زكي أبو السعود باشا وزير الحقانية سأله فأكد رواية فكري أباظة وأضاف أن الملك فؤاد شخصياً طلب أن يكون الحكم لصالح هدي هانم وسأله سعد: وما رأيك أنت؟

قال وزير العدل: أرى (إن هذا ظلم).

قال له سعد: لو حدث هذا التدخل فى القضاء فسوف تصبح المسألة سياسية لا شخصية، وسأقف بنفسى فى مجلس النواب أطالب بإسقاط الوزارة فليس من حق إنسان أياً كان أن يظلم مواطنة ضعيفة، الحق معها! هذا اعتداء على الدستور.. وتراجعت القوى الهائلة التى قررت أن تسحق المطربة، ووكلت هدي هانم أعظم المحامين لدى المحاكم الأهلية والشرعية فى مصر، وأنفقت مئات الألوف من الجنيهات لتثبت أن فاطمة سري أفاقة ونصابة ومحتالة ولم تضعف فاطمة ولم تتردد أو تنهار كانت تدخل المحاكم وهى تحمل ابنتها فوق كتفها كأنها تحمل علماً يمشى خلفه الأنصار والأصدقاء! وكان وجه ليلى الصغير عجيباً لا تكاد تنظر إليه حتى تجد التشابه العجيب بين محمد وابنته نفس العينين نفس الشفتين نفس النظرة، نفس الابتسامة! كان وجه ليلي شعراوي أهم وثيقة رسمية تؤكد بالدليل القاطع أنها ابنة محمد شعراوي، واستمر الصراع سنوات وسنوات، معارك ومرافعات، وضغوط وتدخلات، وقضاة يصمدون للإغراء، ومحامون يتصيدون الأدلة والمستندات، وإذا بالمحكمة الشرعية العليا تحكم بأن ليلي هى ابنة محمد شعراوي، وفى الحال قررت هدي شعراوي أن تطلب بنوة الابنة ونجحت فى ذلك فتحت لها سرايتها وضمتها إلى صدرها وكأنها تعتذر لها– أما أمها فقد أبقتها خلف الأسوار.. وقالت لمحمد.. انسى الموضوع.. لا عودة للماضى وقابلت هدى شعراوى فاطمة سري وقالت لها لن

==

(ليلي) الذى حملت به من محمد علي الشعراوي ابن هدي شعراوي وأثبتت الولادة فى القنصلية المصرية فى فيينا وكيف أنه وقف معها، لأن يقف مع الحق.. وعرف أنها واقعة تحت تهديد فنصحها أن تذهب إلى محل زنكوغراف وتحصل على صورة مطابقة للإقرار وعندما تيأس من المقاومة تسلم صورة الإقرار وتحتفظ بالأصل. وأن أم محمد (يقصد هدي شعراوي) لم نغفر لها ذلك!!

واستعمل عبارة قلبها أسود!!وكان بين النحاس والملك فاروق عراك سياسى،فرأى النحاس أن الملك فاروق جندها ضده..ونشرت هدى شعراوى مفاسد زوجة النحاس زينب هانم وفى كتاب (د. آمال كامل السبكى) سابق الذكر ذكرت أساس هذه المعارضة وموقف هدي

==

أحرمك من رؤية ابنتك وهذا كل شئ ول ما أوعدك به!! وقالت لها فاطمة سري أخذتى رجلى الذى أحببته على مهلى.. حتى ضعفة أحببته والآن تأخذى ابنتى.. وقالت لها أو لم تقل كان هناك الخادم النوبى يوصلها إلى الباب والمعنى الزيارة انتهت.

وفى الحديقة تمتمت المطربة بدعاء وهى تنظر إلى السماء.. وفى الوقت الذى اكنت فيه ليلي محمد شعراوي فى أمريكا تتعلم..كان أبوها يدخل فى قصة جديدة.. إنه يعشق الفن وهذه المرة مع الراقصة أحلام وزواج على سنة الله ورسوله بفرح ورزق منها بثلاثة أولاد.

وقال الناس آه لو عرفت هدي شعراوي.. اللى (ما يرضى بالخوخ.. يرضى بشرابه!!).

ولم تعلم هدي هانم بالكارثة الجديدة فقد ماتت بالسكتة القلبية وهى جالسة تكتب بياناً فى فراش مرضها تطالب فيه الدول العربية بأن تقف صفاً واحداً فى قضية فلسطين.

شعراوي:لقد رأت هدي شعراوي أن هناك ثمة تعارضاً أو تناقضاً ما بين المادة التى تنص على إنهاء الاحتلال العسكرى البريطانى والمادة التى تقضى بإبقاء الجنود البريطانيين فى بعض المناطق الهامة فى مصر ثم أرسلت هدي شعراوي تحتج على التكاليف الباهظة التى ستدفعها (المحروسة) بناء على نصوص معاهدة سنة 1936 فى الوقت الذى يطالب فيه الشعب النحاس باشا بخفض النفقات.وظلت هدي شعراوي مستمرة فى هجومها علي النحاس باشا والوفد بعد عقد المعاهدة وبعد مؤتمر مونترو. ولكن البعد الكامل عن الوفد تجلى فى موقفها المؤيد للسعديين والمتعاطف معهم فعندما أخرج النحاس باشا كلاً من النقراشى وأحمد ماهر نشرت مقالاً طويلاً ضد الوفد تحت عنوان: (أخطاء السياسة الداخلية فى عام) عابت فيه على النحاس باشا سياسة الذاتية رغم كونه زعيماً للأغلبية واتهمته بأن الاستقلال فى نظره لا يعدو أن يكون استقلالاً بالحكم واضطهاد لمعارضى الوفد كما عابت عليه إسرافه فى منح الرتب والنياشين والترقيات لمناصرى سياسته وتلك المحسوبية التى لم تنج منها سوى وزارة المواصلات التى كان النقراشي وزيرها وكذا ميزانية مجلس النواب التى أشرف عليها أحمد ماهر.

ثم كان فى تأييدها لاتهام النقراشي للنحاس باشا فى موضوع الزعامة المقدسة ما يثبت هذا النهج الجديد فى سياستها المؤيدة للسعديين وأحزاب الأقليات والرامى إلى أبعاد الوفد بعد أن انتهت مهمته كما رأت بعقده لمعاهدة سنة 1936 ويتضح ذلك من قولها. (يطالب النحاس الجميع بالطاعة العمياء لزعامته باعتبارها زعامة معصومة من الأخطاء. ثم

يطالب أن يفنوا أشخاصهم فى قدسية زعامته دون أن يسألوه عما يفعل)استمرت هدي شعراوي تحتج على وجود كتائب (القمصان الزرقاء) رغم ما أعلنه الوفد مراراً بأن الباعث لوجودهم هو حماية الديمقراطية من عبث القوات الأخرى مثل (القمصان الخضراء) التى كونتها (مصر الفتاة) وكتائب الكشافة التى أعدها الإخوان المسلمون وطلبة النضال أو كتائب المقاومة التى نظمها اليسار والتى نزلت أثناء حوادث فبراير سنة 1946 بعد ذلك. نقول أن احتجاجها هذه المرة سببه أن تلك الكتائب أصبحت أداة إرهاب فى البلادوكثيراً ما سببت رعباً للجماهير باعتداءاتها المتكررة عليهم كذلك الخسائر التى يحدثونها بتعديم على المحال التجارية والمكاتب والمنازل وهذا فى نظرنا يتعارض مع الديمقراطية التى يقول الوفد أنه جاميها. وفى اعتقادى أنها كانت موضوعية فى نقدها هذا. واستمر عداء هدي شعراوي للوفد حتى قالت عنه أنه ميراث تبدد وثوب تهلهل والميراث الذى تبدد فى نظرها هو تركه سعد زغلول السياسية التى ورثها النحاس باشا فبددها وأما الثوب الذى تهلهل فهو ثوب الوفدية الذى ورثه النحاس باشا مع التركة السياسية المهلهة فأوسعة تمزيقاً. ثم أشارت إلى اختلاف برنامج الوفد عن باقى الأحزاب السياسية لذلك لا مبرر لبقائه فى الحكم.لم تتوقف هدي شعراوي عن مناهضتها للوفد حتى أنها تقدمت باحتجاج باسم الأمهات المصريات استنكرت فيه اعتداء البوليس على الطلبة كما احتجت على خنق حريات الجماهير، إذا واجب الحكومة هو احترام الدستور الذى يكفل حرية الرأى للشعب وإن كانت الوزارة عاجزة عن القيام بهذا لتترك الحكم لغيرها.وفى بداية الأربعينات

وقفت هدي شعراوي مع نبوية موسي فى مناصرة القصر والملك فاروق. وبعد حادث 4 فبراير سنة 1942 أصبحت أحد المعتمدة عند أحمد حسنين باشا (رجل القصر والملك) حتى أنه لجأ إليها فى بعض مشاكل فاروق مع زوجته (الملكة فريدة) ولذلك حصلت على الوشاح الأكبر من نيشان الكمال من الملك فاروق فى حفل الاتحاد النسائى.وعند وفاتها أرسل الملك فاروق والإمبراطورة أخته فوزية والأميرة فايزة مندوبين عنهم للتعزية وكذلك الهيئات التى كان يشرف عليها أميرات القصر مبرة محمد علي وسيدات الهلال الأحمر.

وقد كانت هناك حرباً باردة بين (منيرة ثابت) ومجلة (الأمل) التى أسسها الوفد عام 1925لتكون مناصرة لأرائه بعد تأسيس هدي شعراوي لاتحادها النسائي– فكان من الطبيعى أن يكون التنافس بين الاثنين لاختلاف الآراء والأهداف.إلا أنه سنة 1933 دعتها هدي شعراوي والاتحاد النسائي للاحتفال بأول دفعة من خريجات الجامعة وكن أربعة فتيات ثلاثة من كلية الآداب ومنيرة ثابت نفسها باعتبارها حاصلة على ليسانس الحقوق من غير الجامعة المصرية وكما تقول سيزا نبراوي أن سبب دعوتها هو ضمها إلى الاتحاد النسائي؟!

ولم تتجه منيرة ثابت إلى الاتحاد النسائي وتشارك فيه إلا عندما اهتمت هدي شعراوي بقضية فلسطين(عرضت القضية فى مجلة المصرية لإضراب شعب فلسطين1936وظهرت فيه مبادئ الحاج أمين الحسيني مفتى فلسطين– وأوضحت التحقيقات المنشورة أنه أطول إضراب عرفته

البشرية لاستمراره 6 شهور).أصبحت فلسطين موضوع أساسى فى مجلة المصرية منذ إنشاء المجلة باللغة العربية. ولم تحذب قضية فلسطين منيرة ثابت وحدها– وإنما وجدنا زينب الغزالي (الإخوان المسلمون) تقبل الاشتراك فى نشاطات هدي شعراوي فى (هذه القضية وحدها). وفى الفترة بين 15 و18 أكتوبر سنة 1938 عقد (المؤتمر النسائي الشرقى) فى القاهرة وهو من أهم المؤتمرات التى عقدت لنصرة فلسطين قالت هدي شعراوي فيه أن (فكرة إيجاد وطن قومي لليهود ليست ناشئة عن مجرد عطف بريطانيا العظمى عليها وحبها لها، وإنما هى وليدة مطامع استعامرية خطيرة خلفتها سياسة طائشة أرادت أن تلعب بالنار لتحقيق مآرب سياسية لها خطورتها على الأمم الشرقية والسياسية العالمية). وقالت هدي شعراوي (أن نساء مصر يسوءهن تصرف بريطانيا هذه وإن كان هناك معاهدة تحالف قد عقدت بين بريطانيا ومصر فقد فعلت مصر بعد أن ساعدت بريطانيا بلاد الحبشة الضعيفة ضد إيطاليا وسياستها الاستعمارية فى شرق أفريقيا ولم تكتف بعقد المعاهدة بل دفعتنا الحماسة إلى السخاء فى التنازل لها عن كثير من حقوقنا نظير دفاعها عن جارتنا وانتصارها للأمم الضعيفة.ولقد استطردت هدي شعراوي بأن هذا رياء ومظاهر لا حقيقة لها لعبة من ألعاب الدول القوية فهى تعترف أخيراً بالاحتلال الإيطالى على الحبشة ثم بعد ذلك تتخلى رويداً عن حماستها وتعضيدها للحبشة وتضحى بصداقة روسيا وتستلم لمطالب هلتر، وتفسر هذا التراجع بأن اليابان كانت تخطط لتحقيق فرصة اشتباك انجلترا فى الحرب لتهاجم المستعمرات البريطانية. ومن ذلك نرى أن بريطانيا العظمى لا

تستأسد إلا على الأمم الضعيفة ولا تحترم إلا القوة على اختلاف أنواعها ولا يخفى على حضراتكم ما لليهود من قوة مالية. ثم اختتمت كلمتها بقولها (إن القوة المعنوية التى كانت وما زالت تملكها العرب لها الغلبة دائماً على القوة المادية لأن القوة الغاشمة تخرب وتدمر والقوة المعنوية تبنى وتعمر، وهذه القوة تملأ والحمد لله نفوسنا فأبشركن سيداتى بأن الأمة العربية تستعيد مجدها بإذن الله وربما كانت هذه المآسى والتضحيات درسنا لنا وبشيراً لخاتمة حسنة لم تكن فى الحسبان).أما عن ممثلات مصر فى هذا المؤتمر فكن السيدة هدي شعراوي رئيسة ونفيسة حرم محمد علي علوبه باشا، أمينة حرم الدكتور فؤاد بك سلطان، بسيمة حرم عبد الرحمن رضا باشا، جميلة حرم حسن بك أبو شنب، عزيزة حرم الدكتور حسين هيكل باشا، علية حرم محمود خليفة بك، بهيجة حرم حسن رشدي، أنصاف حرم منصور فهمي بك، سيزل حرم مصطفي نجيب، درية حرم أحمد فكري، منيرة ثابت، ماري كحيل، إلين صرف، حواء إدريس إيفا حبيب المصري، حنيفة أحمد علي علوبة، تحية محمد، نعيمة الأبوبي، زينب الغزالي.

وبالإطلاع على مذكرات هدي شعراوي المنشورة بكتاب الهلال وجدنا مسطوراً بيدها (عندما زرت بيت الله الحرام تصدقت بأموال من مالى ومن سيدات فضلات فى الاتحاد النسائي وبعض الجمعيات الأخرى وتقابلت مع سمو الملك عبد العزيز آل سعود وعرضت عليه فى وقتها إنشاء مدرسة لتعليم الفتيات فحازت الفكرة القبول لديه).وفى مجموعة من الدراسات ذكر: أسست هدي شعراوي قبل وفاتها جمعية خيرية من

جميع البلاد الإسلامية لرعاية فقراء المسلمين الذين نزحوا من بلادهم للإقامة فى مكة والمدينة بعد أن لاحظت حالتهم المليئة بالشقاء والحاجة ولقد بلغت قيمة التبرعات والمساعدات التى كانت هدى تمد بها المحتاجين والفقراء خمسة آلاف جنيهاً سنوياً.ويبدو أن فكرة إنشاء جامعة الدول العربية هى وليدة للمؤتمر النسائى العربى الذى نظمته هدي شعراوي فى القاهرة فى أكتوبر عام 1938 للدفاع عن قضية فلسطين (كما سبق ذكره) وكان آخر ما كتبته هدي شعراوي ونشر بالأهرام يوم وفاتها هو عن فلسطين

تلقت رئيسة الاتحاد النسائي العربى برقيات من رئيسات الاتحادات النسائية فى الأقطار الشقيقة: العراق– سوريا– فلسطين– لبنان– شرق الأردن– بمناسبة انعقاد جامعة الدول العربية يفوضنها فى اتخاذ القرارات الحاسمة لنصرة فلسطين وتأييد الجامعة فى نضالها كما عبرن فى هذه البرقية عن تنظيم جهودهن لجمع المال وإعداد الكساء وقيد أسماء المتطوعات للإسعاف والاستعداد الكامل للجهاد مع إخواتهن العرب جنباً لجنب.كانت خلاصة أرائها بالنسة للمرأة منبثق من إيمانها الكامل بكفاءتها ومساواتها للرجل فى كل القدرات– لذا استطاعت رفع السن الأدنى لزواج الفتاة إلى 16 عام وللفتى 18 عام وقد رأت أن نجاح الارتباط يأتى من الاقتناع الكامل المبنى على المعرفة الجيدة قبل الزواج من خلال الاختلاط فى محيط الأسرة كما آمنت بأنه لابد من وضع قيود أمام الرجل للحيلولة دون الطلاق خوفاً على سلامة بنيان الزوجية كما

اعتبرت أن عدم تعليم المرأة تعليم عالى وفتح كافة آفاق المعرفة أمامها مثلها فى ذلك مثل الرجل سيؤدى حتماً إلى تأخر المجتمع

بقت نقطة دارحولها الجدل واتهمت فيها هدي شعراوي بالانحلال..!! هل خلعت هدي شعراوي الحجاب وألقته بالأرض فى ثورة 19؟! لقد رأيت بمراجعتى أن هدي شعراوي خرجت فى مظاهرتين 16 مارس 1919، 16 يناير 1920 ولم يذكر شيئاً عن خلعها الحجاب؟!

فالحقيقة أن هدي شعراوي وسيزا نبراوي لم يخلعا الحجاب الشرعى الذى يكشف عن الوجه والكفين وإنما خلعا النقاب. ولم يكن ذلك أثناء المظاهرات– وإنما عرف عنهما ذلك فى الوقت الذى كان النقاب منتشراً بين النساء. وفى آراء هدي شعراوي أنها مع السفور الذى لا يخالف الدين ولو خالف التقاليد وقد قررت المستشرقة مارجو بدران ذلك بقولها: أدركت المرأة المصرية آنذاك أن النقاب ليس فريضة دينية ومع ذلك فقد أدركت النساء الضريبة الباهظة التى ستضطرهن هن أو أبنائهن لدفعها إذا ما جاهرن بهذه الدعوة ومن هنا رأين أن يكون التغيير تدريجياً من خلال الفعل لا القول.. لقد تنبأت ملك حفني ناصف وهدي شعراوي بانحسار النقاب ومع ذلك لم تدع أى منهما لنبذه، على العكس فلقد حذرت كلتاهما من ذلك فى تلك الفترة.. مع ذلك فبعد 24 عاماً من نشر كتاب تحرير المرأة ووفاة قاسم أمين نزعت هدي شعراوي وسيزا نبراوي النقاب باعتباره رمزاً للقوة الغاشمة والنظام الذى دعا قاسم أمين لمقاومته.وتستطرد لو كان فعل خلع النقاب من (هدي شعراوي) وزميلتها

فعل مرتبط بثورة 1919. لما أحتاج سعد زغلول لمحاولة تكراره للتأكيد عليه– وبخاصة أن سعد كان أزهرياً فى الأصل.فقد رفع سعد اليشمك عن وجه ابنة الشيخ علي يوسف فى إحدى الحفلات الدينية فى بيت الأمة– ولم يقلع النساء عنه. ووقفت الآنسة فكرية حسنى تلق خطاب على وجهها البرقع. فتقدم سعد أمام الألوف ورفعه– وأصبح هذا أمراً من قائد الثورة بنزع ما يخفى الوجه– وليس الحجاب.وأعتقد أن ما وصلت إليه (مارجو بدران) هو الراوية السليمة السليمة فقد ذكر مصطفي أمين فى كتابه (الكتاب الممنوع) ج2، ص8، طبعة دار المعارف 75.أما موقف سعد زغلول الحاسم تجاه الحجاب فقد تجلى عام 1923 حينما عاد من منفاه واستقبلته مصر كلها استقبال الغزاة الفاتحين. كانت معه صفية زغلول قالت له قبل وصول الباخرة إلى ميناء الاسكندرية.. ألم يحن الوقت لكى أنزع البرقع الأبيض؟ فالتفت إليها سعد زغلول ثم إلى شابين كانا معها هما واصف غالي وعلى الشمسي ثم سألهما رأيهما وإذا بهما يعترضا بحجة ألا تكون هى البادئة بنزع الحجاب. وإذا بسعد يقول: هذه ثورة ارفعى حجابك.. ورفعته صفية زغلول ثم ظهرت للجماهير لأول مرة بوجه سافر مكشوف وإذا بنساء مصر يتشجعن ويرفعنه بعدها كمظهر من مظاهر الحرية التى رافقت مسيرة المرأة آلاف السنين.فحتى مصطفي أمين لم يعرف الفرق بين البرقع والحجاب؟!وأعتقد ان وقوف المرأة بوجه سافر يعتبر نزعاً للحجاب!! مع أن إظهار الوجه والكفين فى إطار الحجاب الإسلامي السليم.وقد ركز الإخوان المسلمون على ذلك فمثلاً كتاب محمد قطب (قضية تحرير المرأة) جاء فيه:عندما احتلت

انجلترا مصر فشلت فشلاً ذريعاً فى غزوها ثقافياً. لذا تسللت عن طريق المرأة فظهر عميلها قاسم أمين وطالب بتعليم المرأة باعتبارها نصف المجتمع ولما نجحت حملته بدأ يطالب بخلع الحجاب فواجه ثورة كبرى إلا أنه أثناء ثورة 1919 شاركت النساء فى مظاهرات ضد الاستعمار الإنجليزى وكانت أول مشاركة للمرأة فى الحياة السياسية وشعر الرجال بمدى بطولتهن وفى إحدى المظاهرات فى ميدان الإسماعيلية وأثناء الهتاف بسقوط الاستعمار فوجئ الجميع بقيام النساء بخلع النقاب وإلقاءه فى الأرض ثم سكب البنزين عليه واشتعلت فيه النيران وعندئذ أطلق على الميدان اسم ميدان التحرير تخليداً لذكرى تحرير المرأة (والغريبة أن كاتب إسلامي) (ياسر حسين) فى كتابه (الأميرة التى هزت عرش الخليج!! وهو كتاب فى جزئين. ينقل هذه الفقرة وحينما يعلق عليها يقول: التناقض هنا واضح فما دخل الاستعمار بحرق الحجاب؟ فهل فرضت إنجلترا الحجاب على النساء أم فرضه الله من فوق 7 سموات قبل 14 قرن)؟! يا عم (ياسر حسين). محمد قطب نفسه كتب نزعوا النقاب!! وعن نفس الموضوع تكتب درية شفيق فى كتابها (المرأة المصرية من الفراعنة حتى الآن).قالت: كان ذلك حوالى عام 1923.. عندما كانت السيدة (هدي شعراوي) قادمة من فرنسا، وهى لم تبلغ بعد العقد الرابع من العمر، بمصاحبة كريمتها وزوج كريمتها المرحوم محمود باشا سامي، وسكرتيرتها السيدة (سيزا نبراوي) وكانت على ظهر الباخرة التى يعود عليها الزعيم سعد زغلول من فرنسا بعد شفائه، وكانت هدي شعراوي لا تزال تفكر فى النظرة التى تقابل بها المرأة المصرية، حتى أنهم كانوا حين يرون هدي

شعراوي وزميلاتها بلا يشامك ولا براقع يتشككون فى مصريتهن،وفى ذلك المؤتمر الأخير بالذات كانت مندوبات الدول المختلفة. ينكرن على السيدة هدي شعراوي مصريتها، ولا يكون يتعرفن إلا بمصرية واحدة كانت تصر على حضور المؤتمرات آن ذاك محجبة لا تكشف شيئاً من وجهها. وهى المرحومة (نبوية موسي).حينئذ قالت هدي شعراوي: ما دمنا نظهر فى مؤتمرات فرنسا سافرات الوجه بدون أن يكون فى هذا ما يخدش الحياء والشرف، فلماذا لا نظهر سافرات فى بلادنا أيضاً!!وقيل لهاولكن التقاليد فى مصر لا تسمح بالسفور!قالت: لابد ان يكون لدينا من الشجاعة ما يجعلنا نقوم بدور إيجابى فى ذلك..

وقد كان فحين وصلت الباخرة إلى الميناء، بدأت هدي شعراوي ومن معها من النسوة فى رفع اليشامك والأنقبة.وتحكى هدي شعراوي عن ذلك بقولها (.. ورفعنا النقاب أنا وسكرتيرتى، وقرأنا الفاتحة، ثم خطونا على سلم الباخرة مكشوفتي الوجه وتلفتنا كى نرى تأثير الوجه الذى أصبح سافراً لأول مرة بين الجموع فلم نجد له تأثيراً أبداً). ثم نجد روايتين (لسيزانبراوي) الأولى شفهية سجلتها مارجو بدران فى رسالتها للدكتوراه والتى عنوانها (هدي شعراوي وتحرير المرأة المصرية) فى حديث أجرى بينهما:انضم الاتحاد النسائي المصرى إلى التحالف الدولى مع التزام أعضائه فى إطار الحركة النسائية الدولية بالحصول على الحقوق السياسية التى سلبت منها جنباً إلى جنب مع الحقوق الاجتماعية والاقتصادية.وعند عودتهن من الاجتماع النسائي نزعت كل من هدي شعراوي وسيزا نبراوي الحجاب فى محطة القاهرة وقبل النزول من القطار

وذلك أمام حشد كبير من السيدات المهللات.وجاء هذا العمل بمثابة إعلان رسمى من قبل رائدات الحركة النسائية بإنهاء نظام الحريم، ووضع حد لعزلة المرأة. والفصل بين الجنسين وبداية الحركة النسائية الرسمية والعلنية فى مصر.. وفى نفس هذا الأسبوع ولأول مرة فى التاريخ ظهر وجه المرأة المصرية فى الصحف المحلية (وذلك بعد مضى حوالى نصف قرن منذ سماع صوتها لأول مرة فى الصحف). والثانية سجلتها فى مذكراتها.. ويبدو أن سيزا نبراوي داهية الحركة النسائية المصرية فهى كانت سكرتيرة هدى شعراوى ثم قفزت من سكرتيرة لمؤسسة فى الاتحاد النسائي وتولت رئاسة تحرير المصرية بالفرنسية وظلت وراء الحركة فى الخلف.. مكتفية بالدور الثانى السنيد واستمر حالها كذلك مع درية شفيق.أما ما سجلته فى مذكراتها: ففى صيف عام 1923 عندما كان رئيس حزب الوفد سعد زغلول وزوجته صفية زغلول فى طريق عودتهم إلى مصر على نفس الباخرة مع هدي شعراوي، لاحظ رئيس الوفد أن االنقاب كان مرفوعاً عن وجه هدى شعراوي، ولكنه كان يغطى شعرها (طبقاً لما يقضى به الإسلام) فطلب منها أن تساعد زوجته على وضع النقاب مثلها وكانت صفية زغلول تهم بمغادرة الباخرة فى الاسكندرية دون حجاب عندما رأها رجال الوفد واعترضوا بشدة مصممين على أن الشعب لن يقبل ذلك. وغادرت صفية زغلول وزوجة رئيس الوفد الباخرة بالنقاب بينما غادرت هدي شعراوي الباخرة سافرة الوجه

.....